بناء المجتمع المعرفي

خطوة نحو الأمام

د. محمود المظفر

الكتاب : بناء المجتمع المعرفي - خطوة نحو الإمام

المؤلف : د. محمود المظفر

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٢٠

رقم الإيداع : ١٩٠٥١ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 235 - 9

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل

أي جزء من هَذَا الكتاب بأي وسيلة كانت

إلا بعد الحصول عَلَى موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

بناء المجتمع المعرفي

خطوة نحو الأمام

د. محمود المظفر

إهـداء

- إلى الروح الطاهرة ؛ المغفور له ولدي مظفر:

إن محتويات هذا الكتاب تجمع كل ما أوصيتني به لخدمة وطني العراق قبل رحيلك المبكر إلى دار الآخرة وملاقاة وجه ربك الكريم سبحانه وتعالى.

- إلى زوجتي زاهرة، وأولادي: فرح، زينب، وَعَبد الكريم وزوجته سارة:

إن عونكم ونقدكم وصبركم قد جعل الكتاب حقيقة، فلكم مني الحب ووافر الشكر والعرفان.

الكتاب بجُزئيه ؛ الأول والثاني ؛ قد كُرِّس للبدء بالخطوة الأولى في بناء المجتمع المعرفي :

- الجزء الأول : مذكرات مهندس وباحث علمي عراقي لدروسٍ مُستنبطة ومشاريع وتجارب عملية في مجال إقامة وتطوير مشاريع الإعمار.
- الجزء الثاني : يتضمن إقامة " المُدن العلمية والتكنولوجية والأعمال ، ودور المجتمع الأهلي في نمو الاقتصاد المبني على المعرفة العلمية والابتكارات ".

المحتويات

- إهـداء ٥
- تقديـم ١١
- ماذا قال علماء الاختصاص عن الكتاب ؟ ١٧
- نبذة عن المؤلف ٢١
- مُقدمة الجزء الأول ٢٧
- الفصل الأول : تعزيز الثقة وزرع الأمل بالنفس والسعي نحو الارتقاء بمستوى التطلّع للمستقبل ٣٥
- الفصل الثاني : مفهوم الشراكة الاستراتيجية ، ولماذا ؟ وكيف يتم بناؤها وديمومة عملها ؟ ٥٥
- الفصل الثالث : القدوم إلى أمريكا - الانغماس في رحاب العلوم والتكنولوجيا والأعمال ٨٩
- التقييم والشهادات ١١٥
- الفصل الرابع : إنشاء المشروع الاستراتيجي الشامل (مُدن العراق العلمية والتكنولوجية والأعمال) ١٢٣
  - المحور الأول : التحديات والمعوقات التي تواجه عملية النهوض الفكري والعلمي والاقتصادي للعراق ١٣٩
  - المحور الثاني : فهم الوظائف وأفضل المعايير والمقاييس العالمية المستخدمة في المدينة العلمية ١٥٠
  - المحور الثالث : الخطوات التنفيذية؛ رسم خارطة الطريق وإنشاء مشروع "مدينة بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال" ١٧٥

- **الشكر والتقدير للمساهمين والنُّقاد** ١٨٢
- **المصادر والملاحظات** ١٨٩

تقديم

أصبحت الحاجة مُلِّحة لدى أصحاب القرار والأكاديميين والتكنولوجيين ورجال الأعمال والشباب لمعرفة الحلول الكفيلة بتحقيق النهوض الاقتصادي والازدهار المجتمعي.

كتابي "خطوة نحو الأمام" - بجزئيه الأول والثاني - : يتضمن الخطوة الأولى نحو البدء ببناء الاقتصاد المبني على المعرفة وإقامة "المدن العلمية والتكنولوجيا والأعمال" وتأسيس الموطِن المُعتمد عالمياً في ولادة المشاريع التنموية المعاصرة واستنباط الحلول للمشاكل المجتمعية، وتعظيم الاقتصاد الوطني ، وجعل الدولة في الوضع المتقدم والمنافس اقتصادياً بين بلدان العالم.

وقد سبق للعديد من الدول تطبيق مبادئ عمل "المُدن العلمية" كونها أصبحت ولازالت الموطن لولادة الحلول ولكي تضمن تلك الدول خروجها من الظروف المماثلة والأكثر تعقيدًا من الظروف التي تعرّض ولازال يتعرّض إليها العراق، وقد حقَّقت تلك الدول النتائج الكبيرة.

يتألف كتاب "خطوة نحو الأمام" من أربعة فصول : الفصول الثلاثة الأولى كُتبِت بأسلوب قصصي وروائي شيق يحاكي القارئ في سرده للأحداث والتحديات والمعوقات التي واجهت المؤلف بدول المهجر وسعيه الدؤوب لتجاوزها. والفصل الرابع تضَّمن حصيلة الأداء المهني من مشوار ترحال

المؤلف ، والتي تؤسَّس لإنشاء المشروع التنموي الاستراتيجي الشامل "مُدن العراق للعلوم والتكنولوجية والأعمال؛ ومشروع أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم الأساسية، والمراكز المعرفية - الرافد للمدن العلمية بالعمالة المؤهلة". ولجعل المشروع الشامل حقيقة شاخصة على أرض الواقع تمَّ وضعه بدراسة استشارية بحثية تطبيقية، تشمل الجوانب العلمية والتكنولوجية والهندسية ، يشار إليها في البحث بـ(دراسة الأساس).

إن الهدف الرئيسي الذي يتوخاه المشروع الاستراتيجي الشامل بناء المجتمع المعرفي وانبثاق الاقتصاد المبني على المعرفة. وفقرات الدراسة تتضمن إنشاء مكونات المشروع الاستراتيجي الشامل بموجب الرؤى : القصيرة والمتوسطة والطويلة الأمد ، وبالمهام التخطيطية والإدارية والتنفيذية ، وخطط الشروع وخارطة الطريق الواضحة المعالم.

وتساهم في تنفيذ المشروع الاستراتيجي الشامل: جميع القطاعات المجتمعية المؤلفة من الجامعات ومديريات التربية وإدارات المدارس ومنظمات المجتمع المدني والمجالس البلدية والمؤسسات المجتمعية الأخرى ، كمؤسسة الشهداء وصندوق التقاعد العامة ، ويشار إليها جميعًا بـ" قوة المجتمع - الركيزة الاقتصادية الثالثة ". ومساهمة رجال الأعمال والبنوك الحكومية والخاصة والمؤسسات المالية والاستثمارية وأسواق المال ، ويشار إليها بـ" قوة الأسواق - الركيزة الاقتصادية الثانية ". وكذلك بمساهمة مجلس النواب والحكومة الاتحادية والحكومات المحلية وحكومة الإقليم ، والمؤسسات المرتبطة بهما، ويشار إليها بـ" قوة الدولة - الركيزة الاقتصادية الأولى ".

ويتضمن هيكل المشروع الشامل إنشاء عدد من المُدن العلمية والتكنولوجية والأعمال، وكل مدينة علمية منفردة منها ستُقام على أحد المواقع المحددة

على خارطة جمهورية العراق ، ويتم اختيار موقع المدينة العلمية بعناية وبموجب معايير خاصة تضمنتها (دراسة الأساس).

وتضم المدينة العلمية بداخلها مجمعًا للتكنولوجيا والأعمال ، وأكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم الأساسية والرياضيات - ؛ ٣ ، بالإضافة إلى أحد المراكز المعرفية. لتشكِّل المدينة العلمية المنفردة بمكوناتها ، "النواة" لبناء المجتمع المعرفي لما حول محيطها.

إن ترابط وتكامل الغايات والأهداف للمُدن العلمية المنتشرة على امتداد خارطة جمهورية العراق سيقدِّم الهيكل والإطار الرائع للصور الكبيرة على كيفية توازن وتفاعل الأدوار للقوى الاقتصادية الثلاث : الدولة ، والأسواق ، والمجتمع ؛ في بناء النواة للمجتمع المعرفي ، وفي انبثاق الاقتصاد المبني على المعرفة وتعظيم مجمل الاقتصاد الوطني في جمهورية العراق.

إن أهم ما يميَز جوهر فكرة انشاء المشروع الاستراتيجي الشامل هو عدم اهمال قوة المجتمع الأهلي - الركيزة الاقتصادية الثالثة ، وإعطائها الدور المكافئ والمتوازن مع دور الركيزتين الاقتصادية ، قوة الأسواق وقوة الدولة. ممّا يجعل المشروع المُقترح يختلف عن نظرائه من المشاريع المماثلة في المنطقة.

وإن أهمَّ المهام الذي يتبناها المشروع الاستراتيجي الشامل لتحقيق هذا الغاية هو توفير المستلزمات المادية والموضوعية والبيئة الجيوسياسية في جميع المدن العلمية لغرض تمكينها من احتضان وتفعيل الطاقات الإبداعية الكامنة لدى جميع القطاعات المجتمعية وتطوير نتاجاتها المعرفية في ابتكار المنتجات الجديدة والتطبيقات الخدمية المعاصرة وتسويقها إلى الأسواق

المحلية والإقليمية والعالمية. كما وأن مساهمة جميع قطاعات المجتمع الأهلي بدلاً من إهمالها ، سيوفِّر بحد ذاته الكثير من الحلول لمشاكلنا المجتمعية السائدة وتعظيم الاقتصاد الوطني وحماية السيادة الوطنية من هيمنة العولمة وتداعياته. وكمثال شاخص أمامنا التدخل الخارجي بالشؤون الداخلية لبلدان المنطقة كالبنك الدولي ومؤسسة النقد الدولية بفرض الأسعار والشروط التي تمسّ بحاجات ومتطلبات المجتمع الأهلي.

لقد خصَّصتُ الجزء الثاني من الكتاب ، لسرد تفاصيل انشاء المشروع الاستراتيجي الشامل "مُدن العراق العلمية والتكنولوجية والأعمال". [وبإمكان أصحاب القرار الذهاب للجزء الثاني مباشرة للإطلاع على فقراته]. وتضمن الجزء الثاني : التحليل المعمق للواقع العراقي الراهن وتحديد المشكلة ووضع الحلول إزائها ، وفهم وظائف المُدن العلمية ، ونُظم عملها ؛ كأنظمة القيادة والسيطرة والحاكمية والتشغيل وإدارة الاعمال ، وأفضل المعايير والمقاييس العالمية المستخدمة في مبادئ تأسيسها ، وكذلك تضمّن أطر عمل الركائز (القوى) الاقتصادية الثلاث : "قوة الدولة – الركيزة الأولى" المتمثلة بدور الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية وحكومة الإقليم ، ووظيفة الوكالة الاتحادية للعلوم والتكنولوجيا والأعمال ؛ أو ما يعادلها... و"قوة الأسواق – الركيزة الثانية" ، المتمثل بدور المؤسسات المالية والاستثمارية وأسواق المال ورجال الأعمال المستثمرين ؛ المحليين والأجانب... و"قوة المجتمع الأهلي - الركيزة الثالثة" ، المتمثل بدور الجامعات المحلية والعالمية ومديريات التربية وإدارات المدارس ومجالس البلديات ومنظمات

المجتمع المدني والمؤسسات المجتمعية الأخرى ؛ كمؤسسة التقاعد العامة ومؤسسة الشهداء وغيرها.

بالإضافة إلى مجموعة من المفاهيم تضَّمنها الجزء الثاني ، أهمها : مفهوم الشراكة الاستراتيجية بالتمويل وبالتنفيذ والحاكمية ، ومفهوم المهبط الآمن لعمل المؤسسات الأجنبية في مناطق الصراعات – Soft Landing Zone .SLZ

ومن أهم معطيات الجزء الثاني ؛ بالإضافة إلى دراسة الأساس للمشروع الاستراتيجي ؛ رسم خارطة الطريق وتحديد خط الشروع بتنفيذ المشروع الاستراتيجي الشامل، بالإضافة إلى خمس مهام هندسية تنفيذية.

بينما تضَّمن الجزء الأول مذكرات المؤلف ، التي ستمهِّد إلى المُقدمات والإجابة على كثير من التساؤلات التي قد تبرز في ذهن السّادة القُرّاء الكرام بما يتعلق بتأهيل المؤلف واقتداره المهني والمعرفي لكي يجرؤ على الدخول بتفاصيل المشروع الاستراتيجي ووضع (دراسة الأساس) لمشروع استراتيجي بهذا الحجم، والذي عادةً ما تكون بمستوى دول بعينها.

وقد تمَّ كتابة الفصول الثلاثة من الجزء الأول بأسلوب روائي شيق يتضمن سعي المؤلف الحثيث في تطوير قدراته ومواكبة التطورات التكنولوجية المتلاحقة والمؤتمرات العالمية ؛ حضوراً ومشاركةً ؛ وخبراته المكتسبة ، وحتى إحباطاته. فكان قد تمَّ منها استخلاص الدروس المهمة وتحقيق الإيجادات العملية والنتائج الملموسة المرتبطة بموضوع البحث.

وكان من بين أهم معطيات الجزء الأول التوقيع في عام ٢٠٠٨ على مذكرة التفاهم مع المؤسسة الماليزية الحكومية (SIRIM) والمذكرة قد تمَّ صياغتها

لتنظيم التعاون مع الجانب العراقي ونقل التكنولوجيا والمعرفة الفنية لإعمار البنى العلمية والتكنولوجية والصناعية. والمؤسسة الماليزية متخصصة في مجالات البحوث العلمية والتطبيقية والتطوير الصناعي، وتعتبر من بين الأهم والأكثر اقتداراً في مجال اختصاصاتها بماليزيا وبمنطقة جنوب شرق آسيا.

الفصل الثاني من الجزء الأول يشمل تفاصيل دور المؤلف بالنجاح في توقيع المذكرة؛ وجميع أحداثها موثق بالصور؛ والعبارة (SIRIM) تشير إلى الأحرف الأولى من اسم المؤسسة الكامل باللغة الإنكليزية:

Scientific and Industrial Research Institute of Malaysia (SIRIM)

www.sirim.my

الدكتور/ محمود محمد حسن حيدر المظفر

ماذا قال علماء الاختصاص عن الكتاب ؟

- ينعم العلماء في الحقيقة بفُرص المشاهدة والمشاركة في مغامرات رائعة في عالمنا. وكثيرًا ما نجد أنفسنا واقفين في رهبة حين تقودنا ملاحظاتنا إلى مشاهدة ولادة ونمو وتحقيق أفكار من أذهان زملائنا العلماء. هذا هو الحال مع أخينا الدكتور محمود المظفر.

إن من يعرفون الدكتور محمود المظفر يَقفون مندهشين لقدرته على تطبيق العقل وقوة الشخصية للتغلب على العقبات الهائلة في رحلة حياته، وفي تركيزه لقدراته لتحقيق حلم لبلده المحبوب. لقد حصلنا من كتاب محمود، "خطوة إلى الأمام"، على أشياء كثيرة من المعرفة والحكمة والكرم، التي ترسم صفحاته بوضوح المهام الرائعة للعراق. يجب أن نستمع إلى رجل تعامل مع مثل هذه التحديات وتغلّب عليها عن طريق بناء اتفاقيات تعاون وتحالفات مع مجموعات وأفراد مكرّسين جهودهم لتحقيق حلم محدد جيدًا. فعندما يتم تنفيذ مقترحات الدكتور المظفر، أتوقع أن يتم تغيير اسم كتابه إلى "قفزة عملاقة إلى الأمام".

الدكتور جاكوب ستيفن
رئيس علماء في المؤسسة الأمريكية فراداي لتعليم العلوم
Steven L. Jacobs EdS PhD FRI FAIC Chief Scientist, Faraday Laboratory
<www.faradaystudios.com>

- "كتاب الدكتور محمود المظفر ، خطوة نحو الأمام ، وثيقة تاريخية تشير إلى أنه من الممكن أن يؤدي التفكير العقلاني العلمي إلى جعل العراق وطناً عصريًا مزدهرًا تتصاعد فيه ثقافة علمية عالية رفيعة ، وأملنا كبير بأن يؤدي نشر هذه المذكرات إلى تذكير الجيل الصاعد من العراقيين لفتح الباب على مصراعيه أمام مستقبل زاهر للعراق.

الدكتور سامي المظفر

أستاذ برفسور، عالم بالكيمياء الأحيائية، والعضو بالمجمع العلمي العراقي

- وما قول قادة رجال الأعمال عن الكتاب ؟

- لقد قام الدكتور محمود المظفر بمعالجة العوائق التي قد لا يستطيع أحد منا في الغرب فهمها والتغلب عليها. لقد أكسبته بحق عزيمته وإصراره وشغفه وحماسته الجامحة للمستقبل. من المفيد أن يُسمع صوته بالتغلب على عدد لا يُحصى من العوائق.

أصبح محمود صاحب المتجر آيس الناجح للغاية – والآن مع هذا الكتاب – يستفيد من جوهر قدراته لتوسيع نفوذه ومشاركته المفاهيم البراغماتية للمساعدة في ازدهار العراق.

جون فان هايزن
الرئيس والمدير التنفيذي لمؤسسة آيس هاردوير التعاونية
John Venhuizen, President & CEO, Ace Hardware Corp
www.acehardware.com

- الدكتور محمود المظفر ، عمل نائبًا لرئيس مؤسسة فراداي ستوديو لتعليم العلوم لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (/ " ؛). وكانت مهنته العلمية وشخصيته التجارية قد تخطَّت الروابط والحدود الثقافية والسياسية والوطنية. وتسببت ظروف خارجة عن سيطرته بالتقدم والبحث عن الفرص والأمان له ولأفراد أسرته في موطنه الجديد – أمريكا.

إن أعظم ما يعجبني به لا يقتصر على خبراته أو معرفته أو من هو ، ولكن الأهم من ذلك هو القيمة والالتزام اللذين وضعهما للأسرة ولوطنه الأصل

ووطنه الجديد. وإذا كان بإمكاننا جميعًا أن نحيا روح التزامه تجاه العائلة والوطن، فسنحقق سلامًا حقيقيًا في هذا العالم. فلذلك سيكون من المفيد جدًا قراءة كتابه "خطوة نحو الأمام"، والإطلاع على تجاربه وأنشطته القيمة.

وين كمتاكي الرئيس والمدير التنفيذي لمجموعة هاوس مارت
المالك لمؤسسة فراداي ستوديو لتعليم العلوم
Wayne Kamitaki, President & CEO House Mart group of Companies
<www.housemart@housemart.com>

- دكتور محمود المظفر ؛ كتابكم "خطوة نحو الأمام"، ومشروعكم مدينة العراق للعلوم والتكنولوجيا، هو لنا بمثابة بصيص من الضوء والأمل في بلد يكافح، حيث التدخلات الأجنبية أدَّت إلى انخفاض تدريجي في جميع جوانب الحياة. ورؤيتنا إن الأشخاص ذوي النوايا الحسنة من العلوم والصناعة والبحوث سيشاركون الجهود، وستكون العلاقات الدولية قوة، وسيحصل قادة المستقبل على تعليمهم واكتسابهم الخبرات في بلدهم العراق. وستكون بمثابة الأساس الذي يمهِّد لعراق جديد وحديث. وأتمنى أن يصبح كتابك الخطوة الأولى في طريق تحقيق هذه الرؤية.

Eugen Bertschhinger, DiplME. ETHZ. Retired, Former President of Sulzer Japan Ltd., Subsidiary of Sulzer Swiss Engineering Corp.
koolani1603@hawaii.rr.com

نبذة عن المؤلف

المؤلف مهندس استشاري متخصص بالبحوث العلمية والتكنولوجية (ا□ـ) وإقامة الأعمال.

في عام ٢٠١٣ وبعد حصوله على الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة الأمريكية، نجح في تأسيس مؤسسته الخاصة في كاليفورنيا (إم. كي العالمية – ا : : : /٠ = : ٥ ٩؛) وكانت غاياتها علمية، وتكنولوجية، وتجارية. وتمَّ تسجيل كل غاية من غاياتها بشركة فرعية مستقلة تحت مظلة المؤسسة الأُم (إم. كي.) وجعلها القاعدة الرصينة لإقامة أعماله المستقبلية وتوسيع دائرة معارفه لغرض امتلاك الحلول التكنولوجية الناجعة، هادفًا بذلك إغناء وتعضيد مشروعه بتأسيس المُدن العلمية وتوابعها في العراق. حيث تمكن المؤلف من الحصول على العديد من شهادات التقدير وحسن الأداء، وكان

أهمها فوز (المتجر ج. ج. آيس هاردوير)[١] بلقب "المتجر النخبة" في عالم الأعمال ، لحصوله على شهادة القمة بالأداء – [illegible] , لثلاث سنوات متتالية ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ ، بعد النجاح باجتياز ثمانية عشر معيارًا تتمحور جميعها حول كفاءة الأداء الأفضل للشركة في إنجاز أعمالها.

وبعد العام ٢٠٠٦ ، حين غادر المؤلف بلده مُجبرًا ؛ كرَّس جهوده واهتماماته بدول المهجر لمواكبة حركة التطور العلمية الجارية وذلك من خلال المؤتمرات العلمية العالمية ومواصلة السعي الدءوب لتطوير الرؤيا والمهام لمشروع (إعمار البنى الفكرية والعلمية والصناعية للعراق) حيث كان قد ابتدأ المؤلف التفكير بهذا المشروع منذ تسعينيات القرن المنصرم.

كان قبل ذلك ، وبحوالي ٢٥ عامًا ، يعمل في الأنشطة العلمية والهندسية والصناعية، متدرجًا من مهندس مُجاز إلى مساعد باحث متدرب، وباحث في مراكز بحوث عالمية ومحلية ، ورئيس باحثين ، ومدير عام في مؤسسة تطويرية متخصصة بالبحوث والتطوير الصناعي، ومساهم أساسي في إنجاز عدة مشروعات تنموية استراتيجية في العراق.

وفي أوائل الثمانينيّات تمَّ تكليف المؤلف بنشاط مبتكر آنذاك ، وكان بعنوان المنسق ومدير زمر البحث والتطوير المشتركة. وكان النشاط تحت إشراف لجنة وزارية عليا مشتركة من ثلاث مؤسسات حكومية (اللجنة المشرفة). والشراكة كانت حينها تمثِّل النموذج للتعاون المثمر بين ثلاث أنشطة معرفية

١– المتجر ج. ج. شركة فرعية خاصة بتجارة التجزئة وتجهيز المعدات والمنظومات المستخدمة في وحدات السكن العائلي ، والعضو المساهم في المؤسسة التعاونية آيس هارد وير الأمريكية المعروفة ، ويبلغ عدد المتاجر بالمؤسسة التعاونية حوالي ٥٠٠٠ متجر ، موزّعة في عموم الولايات الأمريكية وفي ستون دولة حول العالم – Ace Hardware Corporation www.acehardware.com

آنذاك : العلوم التكنولوجية ، والعلوم الأكاديمية ، والتقنيات الصناعية. وقد انبثق منها تشكيل عدة مجاميع بحثية – تطويرية (زمر البحوث) ، مؤلفة أعضاءها من الكوادر المؤهلة والمقتدرة من تلك المؤسسات ، وكان الهدف حل المعضلات التي تواجه تلك المؤسسات والنهوض بالعمليات الأدائية والنوعية والإنتاجية والخدمية لغرض تلبية حاجات المواطنين... وكانت النتائج جيدة وفعَّالة، وقد فاقت التوقعات.

وفي أبريل من عام ١٩٨٢ تمَّ منح المؤلف شهادة الدكتوراة بمصادقة المجلس الوطني البريطاني لمنح الشهادة الأكاديمية لدرجة الدكتوراة بعد إتمام المؤلف المهام البحثية الموكلة إليه في البرنامج البحثي المشترك الجاري تنظيمه بين المؤسسة البريطانية هاتفيلد بوليتكنك (حاليًا جامعة هارت فورد شاير) والشركة البريطانية رولز رويس لصناعة وتطوير المحركات النفاثة، في إطار برنامج التعاون المشترك المبرم بين المؤسستين آنذاك.

نحن نغرق في المعلومات ، بينما نرفض الحكمة.

فالعالم من الآن فصاعدًا سيديره مُخرجون، أناس قادرون على تجميع

المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب

فعليك التفكير بشكل حاسم حولها ،

واتخاذ الخيارات المهمة بحكمة

أدور اوسبورن ولسن

Edward Osborn Wilson

عالم الأحياء ، الباحث ، المنظّر بعلوم الطبيعة

مُقدمة الجزء الأول

لقد كانت سيرتي العلمية ونتيجة مشواري السالفة الذكر، طيبة ومُرضية على المستوى المجتمعي والشخصي -والحمد لله-، إلا أنه كانت لي حاجة ملحة في النفس ترهقني نتيجة عدم تمكني من نقل إجاداتي إلى وطني رغم محاولاتي. فلقد كانت وصية ولدي البكر المغفور له "مظفر" لي حين كان المرحوم مجيبًا لأخر مكالمة هاتفية صادرة مني إليه آنذاك، لقد كانت أجابته لي، بما نصه: (... بابا دعنا نعقد اتفاقًا بيننا، فمن ناحيتي سوف آتي إلى العراق وتراني، وهذا وعد مني لك إن شاء الله القدير، ومن طرفك أرجو أن تعدني بأن تنساني وتكرِّس اهتمامك نحو تنفيذ الواجبات الموكلة لك ببالٍ صافٍ، فالوطن في أمسِّ الحاجة إليك، وخصوصًا في هذا الوقت...).

كان ذلك في بداية التسعينيات، وكان المرحوم على سرير المرض في إحدى المستشفيات البريطانية جرَّاء مرض عضال.

لقد كان الشعور مؤرِّق ومؤلم لعدم تمكني من الوفاء بالعهد الذي كان بيني وبين المرحوم ولدي وإعطاء بلدي القدر الكافي لِمَ أعطاني كما ينبغي.

ولعلي أجد وصفًا لحاجة نفسي والشعور الذي كان يرهقني بما أنشده المرحوم شاعرنا الكبير محمد مهدي الجواهري بقصيدته العصماء "أرح ركابك"...

أرح ركابـــكَ مـــن أيـــن ومـــن عـــثَرِ
كفـــاك جـــيلانِ محمـــولاً عـــلى خطـــرِ

يـــا ســـامرَ الحـــي بي شـــوقٌ يرمِضُّـــني
إلى اللَّـــــداتِ، إلى النجـــــوى إلى الســـــمَرِ
يـــا ســـامر الحـــي بي داءٌ مـــن الضـــجَرِ
عاصـــاه حتـــى رنـــينُ الكـــأس والـــوترِ
لا أدَّعـــي ســـهرَ العشـــاق يشـــبعَهُم
يـــا ســـامرَ الحـــي بي جْـــوع إلى الســـهَرِ

من هنا جاءت فكرة تأليف الكتاب لتكون الوسيلة التي من خلالها أتمكن من تقديم ما هو نافع ومفيد للعراق.

وتتمركز فكرة الكتاب في ايصال أمرين اثنين:

الأمر الأول : ان في سيرتي الذاتية والمهنية من التجارب التي يمكن منها استخلاص العِبر للشباب تساعدهم في حياتهم المهنية والعلمية وإسناد حملتهم النهضوية التي نشهدها حديثًا.

الأمر الثاني : مواصلة الجهد الذي سبق وأن بدأته في منتصف التسعينات من القرن الماضي ؛ كما أسلفت ؛ والذي يتمثل في إعمار البنى العلمية والصناعية للعراق. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتابع هذا الموضوع إلى أن تمكنت وبعون من الله أن أكمل مقترح انشاء مدينة العراق للعلوم والتكنولوجيا. فمنه يمكن استخلاص مجموعة من المواضيع لعدد جيد من البحوث التطبيقية الهادفة لطلبة الدراسات العليا في جامعات العراق، ومنه أيضًا يمكن استنباط الكثير من المشاريع الصغيرة للشباب (المخطّط في الجزء الثاني من الكتاب سوف يتضمن تلك التفاصيل إن شاء الله).

وكما أود أن أقدّم كتابي هذا هدية متواضعة لبلدي العزيز ، واضعًا تفاصيله أمام أنظار أصحاب القرار ومن يهمه الأمر في بلدي: رئاسة مجلس الوزراء والبرلمان، والمؤسسات الصناعية الأكاديمية والتعليمية بشقيها العام والخاص ورجال الأعمال المستثمرين ، والمنظمات الشبابية ، ومنظمات المجتمع المدني... آملاً منهم أخذ المبادرة والنظر بتنفيذها في أقرب وقت، لِما له من التأثير البالغ في نهضة العراق.

تتألف محتويات الجزء الأول من الكتاب من ثلاثة فصول:

تضمن الفصلان الأول والثاني وصفًا بأسلوب قصصي وروائي ممتع للعديد من محاولات المؤلف في كيفية تطوير قدراته المهنية وخبراته ومواكبة حركة التطور العلمي والتكنولوجي الجارية في العالم، والتي تمت من خلال المؤتمرات ذات الصلة ؛ حضورًا ومساهمةً ؛ ومواصلة للجهود والسعي الدءوب لتطوير الرؤى والمهام لمشروع إعمار البنى الفكرية والعلمية والصناعية للعراق. حيث احتوى الفصلان الدروس المُستنبطة، والأحداث، والمعوقات ، والتحديات ، وامتلاك الحلول والإيجادات ، وكانت جميعها حصيلة مشوار ترحال المؤلف خلال محطاته بدول المهجر. وقد جمعها حسب تسلسلها الزمني ، كحقائق تمثِّل مشاريع تنموية وتعليمية ، وحلولاً وتقنياتٍ حديثة موّثقة بالشهادات من بعض الذوات المفكرين والتكنولوجيين ورجال الأعمال من دولٍ مختلفة.

كما وتضمن الفصل الثالث نجاح المؤلف في إقامة قاعدة الأعمال الرصينة الخاصة به في كاليفورنيا ؛ المحطة الأخيرة التي استقر في رحابها بعد حصوله على إذن بالإقامة القانونية الدائمة فيها ؛ وهناك كرَّس جهوده مستثمرًا قاعدة الأعمال الخاصة به لغرض توسيع دائرة معارفه هادفًا إلى

تهيئة مقترحات رصينة بمشاريع تنموية قابلة للتطبيق على أرض الواقع تساهم بشكل فعَّال في النهوض بالواقع المتدهور للبنى العلمية والصناعية الذي يعاني منه العراق.

الفصل الأول

تعزيز الثقة وزرع الأمل بالنفس
والسعي نحو الارتقاء بمستوى التطلع للمستقبل

محطتي في بغداد - بداية المشوار ،
وقصتي مع عالم الموسيقى الكلاسيكية

ارتكز سرد أحداث القصة على حقائق حدثت بالفعل، إلا أنني منحتُ نفسي مساحة من الحرية للتصرف في وصف بعض أحداثها محاولاً تحقيق الجوانب الدرامية والتشويق والمتعة لدى القارئ، هذا الامر الأول... والأمر الثاني لابد أن أُشير إلى السبب وراء تأليف حكايتي وجعلها قصة وإعطائها العنوان الموسوم أعلاه، لا سيما وأن المئات من القصص والحكايات رافقت محطات سيرتي المهنية وفي دول المهجر، فلماذا هذه الحكاية التي فارقتُ أبطالها منذ نصف قرن ويزيد سنتين أو أكثر... والجواب هو أن اختياري للقصة لأن أحداثها قد شكلّت منعطفًا مهمًا في حياتي في حينها ولاحقًا، والتي يمكن استخلاص درس أو عبرة أو نصيحة منها.

ومن حيثيات القصة كان قبل فترة من الزمن، حوالي عدة أشهر، أرسلت إلى إحدى العوائل البغدادية الفاضلة الصديقة مقطعًا جميلاً من الموسيقى الكلاسيكية تمَّ إعادة إخراجها باستخدام المؤثرات التكنولوجية والسمعية والضوئية المتطورة، وتلقيتُ إجابة من المُرسل إليه وتعليقًا يتضمن تصحيحًا لاسم وعنوان المقطوعة... كانت جميع المعلومات التي أرسلتها مغلوطة، وكانت تلك الإجابة بالتحديد من سيدة تلك العائلة الفاضلة، ومع أجابتها كان سؤالٌ موّجه لي: ما الذي تعرفه يا محمود عن عالم الموسيقى الكلاسيكية؟.. وبلباقة أجبتُها حينذاك؛ محاولاً التهرب من الإجابة: كلميني أنتِ يا سيدتي أولاً بما تعرفينه عن هذا العالم؟... وبعد أجابتها عرفتُ بأنني أمام أحد المعالم من العوائل البغدادية الأصيلة التي تملك الثقافة المعرفية في هذا الفن الراقي وبأروع صورها... وبعدها كرَّرت عليَّ السؤال نفسه؛ وكنتُ أتوقع أنني قد أنسيتها سؤالها: أنت يا محمود، يا دكتور! ماذا تعرف عن هذا الفن الرفيع؟!...

حينها تراكبت الأحداث من أعماق ذاكرتي بجميع تفاصيلها مذكرةً إياي بالدعوة الكريمة التي كانت من قِبَل الأخ الصديق "نامق"، زميل الدراسة الجامعية، لحضور جلسة سماع الموسيقى الكلاسيكية في بيته قبل ما يقارب نصف قرن، فأسرعت بسرد أحداثها وأرسلتها إلى السيدة الفاضلة بعد استخدام اسم مستعار آخر لبطلها الحقيقي الأخ "نامق"، ولكنني أبقيتُ اسم الأخ "هيثم" الذي ورد في القصة.

كانت تلك السيدة من القارئات لكُتَّابٍ كبار، وتتصف بالدقة والواقعية وتمتلك الثقافة العامة، بالإضافة إلى مؤهلاتها المهنية كمشرفة تربوية بعلوم الرياضيات، فقد أدهشني وأسعدني تعليقها على ما قرأته من سرد لأحداث القصة. وحينما جاءتني المفاجأة السارة من الأخ العزيز هيثم برسالة على الماسنجر للتواصل معي بعد أكثر من ربع قرن! فكان أول سؤال إليه عن الأخ نامق... أجابني: بخير ولازال بالعراق وعلى اتصال معه... حينها أخبرته مستأذنًا بأن لدي قصة أرغب أن أرسلها إليه وإلى الأخ نامق وبعد رفع الاسم المستعار ووضع اسم بطل القصة "نامق حازم نامق".

تجدر الإشارة إلى أن اختياري للسيدة الفاضلة والمهندس استشاري "هيثم سيف الدين" مع ثلاث شخصيات مهنية رفيعة من الذوات النُقَّاد الذين واكبوا مرحلة التأليف، وقد أدرجتُ ملاحظاتهم تحت عنوان "ملاحظات الذوات النُقَّاد" في نهاية الكتاب.

وإلى أحداث القصة...

(١)

قصتي مع عالم الموسيقى الكلاسيكية قديمة ، بدأت أحداثها عام ١٩٦٦/١٩٦٧ ، حينما كنتُ طالبًا في كلية الهندسة جامعة بغداد ، فتى قادم من النجف الأشرف؛ المدينة الدينية المحافظة، ومن أُسرة دينية؛ لكنها ليست متزمتة... كنتُ لافتًا للانتباه؛ ليس لكوني لا سامح الله غبيًا (أخاف يراود أذهانكم!) أو كنتُ ذكيًا؛ بل لأن شكلي وهيئتي كانا يلفتان فضول الآخرين بعض الشيء ، حيث كنتُ أتراءى للآخرين صغيرًا حجمًا وعمرًا كطالب جامعي!! لذلك ولعدة مرات، كان حرس الكلية يستوقفونني بالباب الخارجي عند الدخول للكلية معتقدين أنني أحد طُلاب المدرسة المتوسطة الشرقية المُقابلة للكلية ، لأن العديد من طُلاب المدرسة المتوسطة كانوا يحاولون دخول الكلية؛ إمَّا للتحرش بالبنات ، أو لشراء المرطبات والتمتع في نادي الكلية... وحينما أثبت لهم بأنني طالب في الكلية كانوا يضحكون أو يستهزئون أو يتعاطفون بكلمات بغدادية لا أفهم قسمًا منها.

الأمر الآخر الذي كان ملفتًا للنظر عند الآخرين؛ أنني كنتُ أتحدث اللغة الفصحى وبصيغة الجمع ، مثل : أنتم قلتم أو كما تفضلتم ، إلخ ، فكانوا يتجمعون حولي كفضول ومشاكسة ، وكثيرًا ما كان يأتي بالصدفة أحد أصدقائي النجفيين بالصفوف المتقدمة ليخلِّصني من هكذا مواقف مزعجة؛ وفي بعض الأحيان محرجة!، وبهذا الوصف الدقيق عن هيئتي، يقترب لي أحد الزملاء من نفس الصف بالكلية ، وهذا الشخص بحد ذاته جدير هو الآخر بالاهتمام فهو ابن أحد الكبار الأثرياء من المقاولين! من الشخصيات البغدادية / الموصلية لا أدرى بالضبط، ولا أعلم هل هو مسلم أو مسيحي أو

ملحد، وبالتأكيد لا أعلم إن كان شيعيًا أو سُنيًّا – كما يصنفوننا الآن – اسمه "نامق حازم نامق"، وسيمٌ إلى حدٍّ كبير، ملابسه متميزة، أمَّا نظاراته الطبية فكانت في شكل تصميمها قمة ما تميّزه! شابٌّ يدلُّ مظهره عن ترفٍ وثراء، وكان يجيد اللغة الإنجليزية؛ ولربما أكثر من العربية؛ يأتي للكلية بسيارته الخاصَّة... إنه بحق شخصٌ جدير بالاهتمام، حتى أن بعض الأساتذة كانوا يحاولون التقرب إليه، إنه بالتأكيد يختلف عني بشكلٍ كبير، رغم أنه مهذب ومتواضع، بل هو بالتأكيد مترعرع في محيط مختلف تمامًا عن محيطي...

بادرني نامق بأسلوبه المباشر:

– محمود، امشي معي للنادي لنشرب شاي...

أجبته:

– قل رجاءً وليس أمرًا!

أجابني بعفوية لكي يستوعب ما طلبت منه:

– طبعًا... رجاءً تعال، أودُّ أن أتحدث معك.

اشترينا مرطبات من الحانوت وجلسنا في جانب بقاعة النادي...

– أنت يا محمود رقيق ويظهر لديك حِسٌّ موسيقي...

– أشكرك، ولكن لا أظن بأن لدي حِسٌّ موسيقي، أنا مولعٌ بالشِعر.

– نعم، نعم... أجاب نامق مقاطعا ومكرِّرًا كلامه: نعم، نعم... شعر الغزل الذي سمعته منك في الصف هو أوحى لي بحسك بالموسيقى...

– شكرًا نامق.

ثم استطرد:

- محمود كل أربعاء نجتمع في بيتنا المجاور للقصر الأبيض شارع النضال الساعة ٨ مساءً نستمع للالموسيقى الكلاسيكية، وأنت مدعو لكي تتمتع معنا.

بعد تردد أجبته بنعم.

استطرد بحديثه:

- لا تنسَ أن تجلب مشروبك معك، ولكن بكمية محدودة، وتجلب أكلك، سندوتش فقط...

قاطعته:

- نامق، أعتقد أنني الشخص الخطأ.

قاطع مسرعًا:

- كلا أنت لك أُذن موسيقية.

- نامق، أنا لا أشرب المشروبات الروحية ولا يمكن أن أحضر كضيف وأجلب أكلي معي، إذا كان يهمك حضوري فلتقدِّم لي بامتنان واحترام كوكا وسندويتش.

كانت إجابته وبعفوية:

- أوك، سأخالف الضوابط.

- إنها ليست ضوابط، أنني سأحضر كضيف، وأريد أن أشعر بذلك.

- نعم، نعم... قلت لك يا محمود إنك تملك إحساسًا رقيقًا.

سألته:

- ولماذا الأربعاء؟

- بابا وماما يذهبان إلى النادي ، والجيران أيضًا ، ونحن نستمتع براحتنا بسماع الموسيقى بصوتٍ عالٍ، ولدينا موافقة بهذا اليوم فقط.
- واضح، والجماعة من هم؟
- فلان وفلان...

أعرفهم جميعًا، ومنهم أستاذ...

(٢)

حرصتُ على ارتداء أجمل ما هو متوفر لدي من ملابس، وأنا خارج من فندق الطلبة في "باب المُعظَّم" خلف كلية الهندسة، فندق وكأنه قسمٌ داخلي يستقبل فقط الطُلاب المقيمين لفترة أكثر من شهر؛ متوجهًا إلى بيت صديقي "نامق حازم نامق" في منطقة القصر الأبيض قُرب ساحة الطيران، من الأحياء الفاخرة في بغداد.

خرج نامق بعد طرقي الباب يستقبلني، قادني إلى الصالة الجميلة جدًا مرورًا خلال المدخل المُهيب للبيت... يبدو أن الصالة هي مكان اجتماع الشلة المستمعين للموسيقى الكلاسيكية (كنتُ أدمدم مع نفسي)، كأني في أستوديو لقناة موسيقية عالمية!! الجدران مملوءة بالبوسترات لصور الفنانين الكلاسيكيين ومعلومات عن حياتهم وسِيرهم، دواليب وخزانات مُرتَّبة للأسطوانات، وجدار آخر مُخصَّص للبرامج والتوقيتات لسماع الموسيقى على طول السنة، مُجهَّز على الجدار آلة كبيرة الحجم تتحرك بسكة يتوسطها مؤشر، شبيه بالسلايد رول (آلة حاسبة قديمة كنا نستخدمها للحسابات الهندسية)، فيها مؤشر، والمؤشر يتحرك على سكة فوق المعلومات المرتبة شاقوليا يبدأ السطر الأول باليوم، أسفله اسم الموسيقار، والخط الأسفل الذي يؤشر عليه المؤشر معلومات عن المقطوعة، حيثياتها والأدوات المستخدمة في العزف، والمعلومة الأسفل منها تحتوي على الوقت الذي يبدأ بسماع الجزء الذي تصل المقطوعة الموسيقية إلى القمة من حيث المُتعة والإثارة... إلخ، من المعلومات التفصيلية المرتبة بشكل أذهلني في ذلك الوقت...

حين انتهى نامق من الشرح والتقديم، سألتُه:

– كيف فعلت هذا؟ وهل استفدت من إذاعة بغداد؟

ضحك وقال:

– إذاعة بغداد ووالدي معهم يتوسلون فقط لغرض أن أوافق على زيارة أشخاص من الإذاعة للإطلاع، ووافقت مؤخرًا على أن تُختصر فقط للمشاهدة والإطلاع على المحتويات وليس السماع!

طبعًا كنتُ مندهشًا بما أرى من عظمة ما حولي، سألتَه متوجسًا وبتردد مصحوب بحرج أو خوف مخلوط بحياء:

– نامق، أين المجموعة؟

– طلبت منهم القدوم الساعة التاسعة لكي أكمل ايجازك.

دارت عيناي بين الأثاث والمقاعد لكي اختار المقعد المناسب وأجلس، بادرني محمود:

– هذا مقعدك.

أجبته ضاحكًا:

– ولماذا لا يكون ذلك مقعدي؟

– لكل واحد مقعده الخاص به وبجواره طبله صغيرة.

سألته، حيث أرى جميع المقاعد مصطفة في انتظام:

– ومن هذا الذي يجلس في ذلك المقعد الذي موقعه غريب في الوسط؟

– هذا المكان مخصص لي لأنه يتوسط مكبرات الصوت والموقع يتيح سماع نوع الذبذبة والصوت الأفضل، الخ ومحسوب بدقة استنادًا لعلم الصوت.

– يا ربي، هل فعلاً هنالك ترف وتطور لهذا الحد في العراق... (مدمدمًا مرة أخرى مع نفسي).

الساعة تقترب من التاسعة... بدأت الشلة في التوافد؛ خمسة أشخاص أعرف ثلاثة منهم، وابتدأ البرنامج بعد إطفاء الأنوار إلا شمعة بعيدة، وساد الهدوء وانقطعت الحركة وابتدأ السماع ولمدة ساعة ونصف أو أكثر توسطها استراحة ١٥ دقيقة...

– سبحانك يا رب، ما هذا الذي كنت فيه ؟!

(٣)

سألني نامق والآخرون معه: ما رأيك؟... وصفت لهم ما كنت أشعر به بدقة وصراحة وجُرأة ووضوح...أجبتهم:

- لقد تجسمتْ الموسيقى في خيالي المضطرب، كنتُ في كثيرٍ من الأحيان أشاهد بدلاً من أن أستمع، وأعيش مرةً ألوانًا وأحداثًا مفرحةً ومبهجة، ومؤلمه وقبيحة مرةً أخرى، وحتى كنتُ وكأني أشمُّ روائح زكيةً وأخرى كريهة!

ضحك أحد الحاضرين:

- وما ذلك الزكي أو الكريه؟! لا أعتقد أن أيًّا منا أصدر ريحًا كريهًا!

استمررت في حديثي، وكأن أحدًا لم يتكلم:

- كنتُ أشمُّ الروائح الزكية التي كنت أشمها حين أزور العتبات المقدسة، وكنت أشمُّ الروائح الكريهة كتلك التي اعتدتُ أن أشمها حين أرجع إلى الغرفة التي استأجرتُها مع عائلة تبين أنها على حلِّ شعرها كما تقول الأفلام المصرية – ساقطة، كان السكن في داربين منطقة الميدان حين التحقتُ بالكلية.

قاطعني نامق قائلاً:

- اسمع محمود، رائع منك ما وصلت إليه يا محمود ووو الخ، إنها أحاسيس تحاكي السلم الموسيقي من حيث التأليف، رائع... رائع...

قاطعتُه لأكمل ما أشعر به فعلاً من أحاسيس:

- ولكن يا نامق يا كبير وابن الكبار... بصراحة أرى أنني رهين محيط وواقع لا ينسجم مع ما عُرِض على مسامعي، إنه فن غريب، فن مختلف،

ولكنه جدير جدًا بالاهتمام! ان هذا النوع قد أججَّ في داخلي الكثير من تناقضات أو ذكريات، لا أدري، لكن الذي أنا متأكدٌ منه أنني كنت في عالم أشعر بأنني غير مُهيأ لكي أكون جزءًا منه!... أريد أن أمنح نفسي جزءًا من الوقت والاهتمام وأن أرى نفسي بوضوح أفضل، وأجعل واقعي يرضى وينسجم بهذا الفن العظيم المختلف، ولكني يجب أن أعبِّر لكم عن امتناني، وأتشرف بأن تكونوا أصدقائي.

صفقوا لي وصافحوني واستمرت علاقتنا في مشاركتهم بأنواع أخرى من الأنشطة الرياضية، وأتذكر البيس بول في حينها... (كان الذي حصل أعمق وأكثر تأثيرًا وصدقًا عما وصفته).

ولكن بقي تأثير هذه الممارسة حاضرًا وبقوة في وجداني... تولدت بداخلي حالة إيجابية تدفعني إلى الأمام، وليس نقصٌ يُربكني، مما عزَّز ثقتي بنفسي، وارتقى بمستوى تطلعاتي المستقبلية، وجعلها أكثر وضوحًا... فكنت أرى الكثير مما لا يراه غيري من نظرائي في الكلية أرى بأنني أمام مستقبل زاهر، وأنني أمتلك الكثير من المقومات لتحقيق ذلك المستقبل الزاهر، فكنت أتحدث إلى نفسي وأشجعها مستخدمًا حالة الإعجاب التي حققتها من خلال الكلمات والوصف الإيجابي لشخصي من لدن هؤلاء الشلة – أولاد النُخب من العوائل البغدادية، وعلى الأقل كنتُ قد أقنعتُ نفسي بهذا الشعور الإيجابي... فغدوت وأنا الطالب في الصف الثاني بكلية الهندسة، أفكِّر كيف يمكنني الاستفادة من واقعي الذي نشأت وترعرعت فيه بمدينة النجف الأشرف التي تزاحمتْ فيها حينذاك المدارس والجامعات الدينية والعلمانية وتوافد مجاميع الوافدين للبحث والدراسة من مختلف بقاع العالم الإسلامي وبجميع طوائفه، وحيث كانت تلك المؤسسات تشهد التصادم والتلاقي

والاختلاف بالأفكار والاجتهادات والأيدولوجيات وما كان يحيطها ويحكمها من القيم الحميدة وقبول الآخر. فترى مختلف المنتديات الثقافية العامرة والمُشرعة أبوابها على مدار العام، جامعةً المتدينين والعلمانيين والملحدين والراديكاليين. ومقابل ذلك ترى أيضًا ما يحيطك من السياقات والضوابط الاجتماعية الصارمة.

كانت جميع تلك الخصائص هي ما تُميِّز البيئة الفكرية والمجتمعية في مدينة النجف الأشرف. ولذلك فقد جعلت من هذا الكم الثقافي المعاصر المادة التي من خلالها حوّلت الأمل الذي زرعته في أعماق نفسي إلى حافز لتعزيز الثقة بالنفس والانطلاق بالاندماج بالمجتمع الجديد وإعداد الرؤية والمهام التي تنتظرني ما بعد التخرج كمهندس...

وحين أصبحتُ مهندسًا؛ وجدتُ نفسي متهيئًا ليس بالقول بل بالفعل، حيث باشرتُ في إقامة مشاريع صغيرة، زراعية وصناعية مع أصدقائي من حولي، بل قمت في ذلك الوقت بمفاتحة الشركات العالمية (ألمانية، وبريطانية) باحثًا عن فرص استثمارية!! وأخرى لا مجال لذكرها.

(٤)

لقد اخترتُ يوم عيد الميلاد المجيد، لأكمل ما بذمتي وأجيب على تساؤلات تلك السيدة الفاضلة الملحة لمعرفة ما حلَّ بصديقي نامق؟ وأين هو الآن؟ وكيف أضحت أحواله؟ وكذلك ما انعكاسات كل ذلك على حياتي؟...

لقد عاش الإعجاب والتصفيق من المجموعة والأخ نامق حازم نامق – المعزّب – بعد ما سمعوا ملاحظاتي الحسّية حول الموسيقى التي عشت أجواءها والإخراج الرائع لتفاصيل المناسبة، والصالة الأنيقة كأنها أستوديو سمعي، وذلك البيت المبهج وكأنه أحد القصور السَّارة للناظرين... لقد عاشت تفاصيل تلك الليلة الليلاء في وجداني وذاكرتي تمنحني ثقتي بنفسي وتدفعني نحو البحث عن الأفضل، وكأن تلك السويعات التي قضيتها في رحاب عزف الأدوات الموسيقية المختلفة الذي أجاد مؤلفها موزارت؛ وهو أول من عرفته من رواد الموسيقى الكلاسيكية، فقد أجاد في رسم لوحة حيَّة انطبعت آثارها في جوارحي، وفتحت أمامي النوافذ من اتجاهاتها الأربعة، الشمال والجنوب والشرق والغرب، وأعطتني منظارًا، ورفعتني على قمة تل لكي أتمكن من رؤية ما يمكن أن أراه من أفق وأن أحقق بناء مستقبلي المنشود... فلقد أخرجتني تلك الجلسة الموسيقية من منظوري الضيق الذي رسمه لي المنظار الضيق في محلة منطقة الميدان ببغداد والبيت المتهالك الذي استأجرتُ فيه غرفة أسكن فيها إلى حين إيجاد سكن للطلبة مناسب، أو حتى الكلية كنت أراها أحلى ما يمكن أن اتصوره في ذلك الوقت... وحصل ذلك وأنا في عام ١٩٦٦، كنت بالصف الثالث بكلية الهندسة، حيث بدأت الشوط لتحقيق حلمي... لقد تعدى طموحي الطموح المتداول بين نظرائي –

النجاح والتخرج والوظيفة – إلى أكبر من ذلك بكثير، فكان أول ما تمَّ تحقيقه هو أن ضمنت مسبقًا الواسطة في إيجاد عمل في الكويت بعد سنتين من التخرج من الكلية... ففي ذلك اليوم من عام ٦٦ دخل البيت أخي الأكبر عبد العالي مستبشرًا، ينادي:

– أين محمود؟ لدي خبر يفرحك؛ وجدت لك الضامن في تعينك مهندس في أي دائرة أو شركة يعمل فيها أجانب في الكويت، لقد وعدني وزير الدولة في القصر الأميري، السيد يوسف الرفاعي، وهو أحد المعجبين بمؤلفاتي، وتعهد بتحقيق طموحك، فما عليك الآن إلا أن تجتهد وتتخرج.

أجبته وأنا أقبِّل يديه فرحًا وشاكرًا:

– طبعًا أعدك يا أخي.

وكان ربيع عام ١٩٧٠ المهندس محمود المظفر والذي لازال حجمه وهيئته يشيران إلى كونه طالب بالثانوية على أفضل تقدير... كنتُ مع المرحوم خالي الذي أوصلني إلى الكويت وأسكنني في الفندق المناسب وأجرى لي ترتيبات لقاء وزير الدولة.

وفي اليوم الذي كان مخصصًا للقاء العامَّة من الناس لسماع الشكاوى أو الطلبات، في ديوان الوزير؛ ارتديتُ ملابسي الجديدة التي اشتراها لي خالي من الكويت، وكنت معجبًا وفرحًا بها كالطفل في ملابسه الجديدة يوم العيد، حتى أنستني الحدث الذي ينتظرني في المقابلة...

وصلتُ إلى الديوان الواسع وجلستُ في المقعد المخصص من بين حوالي الخمسين أو أكثر من المقاعد المصفوفة بمحيط الجدران الثلاثة، وكنت جالسًا في أخر مقعد منتظرًا دوري، أما الجدار الرابع فيشغله أثاث مكتب

الوزير الفخم، والمراجعون يتقدمون تباعًا حتى يصل دورهم لمقابلة الوزير...

جاء دوري وانتقلت إلى الكرسي الذي يواجه الوزير...

- السلام عليكم سيادة الوزير.

- يا هلا.

- أنا ضيفكم من العراق ومن النجف الأشرف، جئتكم حاملاً رسالة مع هدية من أخي الشيخ عبد العالي المظفر تفضلوا معاليكم...

سلَّمته عطيته الرسالة ومؤلفين من كتاب أخي بعنوان "الإسلام والتطور الاجتماعي".

- يا هلا بشقيق سماحة العالم النجفي (يقصد العالم الديني) الجدير بالاهتمام.

كان نص الرسالة:

(يأتيكم أخي المجتهد المهندس محمود ، لكي يساهم معكم في بناء دولتكم ويمنحكم مما استقاه من علم ومعرفة... فأحسنوا لقاءه وإقامته وتسهيل ما هو هادف إليه...) إلى تكملة الرسالة البليغة.

وحصلت على وظيفة "مدير متدرب" بالمركز الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط للصيانة في شركة مرسيدس بنز الألمانية في الكويت...

تمَّ إكمال عقد التعيين الذي يتضمن دورة تدريبية لمدة ١٠ أشهر في ألمانيا، وطلبتُ من المعنيين منحي أجازة أسبوع للذهاب إلى العراق لأودِّع الأهل بعدها أوقّع العقد والالتزام بالمطلوب.

رجعت للعراق ، وحين وصولي البصرة في بيت الخال علمت بأنه قد تمَّ استدعائي لخدمة الاحتياط. كان القرار الالتحاق بكلية الاحتياط في بغداد ، اكتفيت بإعلام الشركة في الكويت هاتفيًا بما حصل.

كان مجموع الذين شملتهم الدعوة حوالي ١٨٠ مهندس متخرج حديثًا من جميع الجامعات في العالم، واعتقد كان عام ١٩٦٩ – ١٩٧٠، التقيت ببعض الزملاء من مجموعة دورتي الذين تخرجوا معي ، كان منهم اثنان ممن شاركوا في جلسة استماع الموسيقى الكلاسيكية...

– أهلاً هيثم، كيف حالك؟...

بادرته في إحدى الاستراحات من التدريب البدني.

– هلو عيني محمود.

وأول سؤال خطر بذهني: هل نامق معنا في الدورة؟

غمز لي بتغيير الموضوع ، لأن معنا بالدورة جماعة حزب البعث لغرض التدريب ويتخرج الناجح منهم بمنحه رتبة نائب ضابط ، لعلكم تعرفوهم... وهم آذان عجيبة لكي يكتبوا على من هم مع الثورة ومن هم ضدها.

في المساء في نادي شرب الشاي المتهالك جلسنا أنا وهيثم، وقال لي:

– لا أحد يعلم مصير المسكين نامق ، لربما أهله خرجوا ، فأمره مجهول لديَّ، عسى الله أن يجعله سالمًا آمنًا.

كان ذلك في بداية الثورة التي جاءت بحزب البعث وأحمد حسن البكر وجماعته !!

ولأكمل ما بذمتي وأجيب على تساؤلات السيدة الفاضلة المُلِّحة لمعرفة ما الذي حلَّ بصديقي نامق ؟ وأين هو الآن ؟ وكيف أضحت أحواله ؟؟ وحيث

كنت أتذكر دائمًا أحداث جلسة سماع الموسيقى الكلاسيكية من أعماق ذاكرتي بجميع تفاصيلها والدعوة الكريمة التي كانت من قِبل الأخ الصديق نامق ، بطل القصة ، لحضور جلسة السماع في بيته قبل ما يقارب نصف قرن. فكانت المفاجأة السَّارة من الأخ هيثم برسالة على الماسنجر للتواصل معي بعد انقطاع أكثر من ربع قرن! وكان أول سؤال وجهته إليه عن الأخ نامق... أجابني:

– بخير ، ولازال بالعراق ، وأنا على اتصال به.

فبادرت بإرسال القصة إلى الأخ نامق وأجابني مشكورًا بإجابة أدهشتني هي الأخرى لما يتمتع به كاتبها من إحساس مرهف...

وددتُ أن أشارككم الترجمة الحرفية لنص الإجابة:

(... من فضلك د. محمود المظفر ، هل تغفر لي صديقي العزيز ، للرد باللغة الإنجليزية على رسالتك المؤثرة إلى الحد الأقصى التي لم أتلقى مثيلها في وقت مضى في حياتي ؟!

أشعر بالخجل من الاعتراف بأنني لا أستطيع الكتابة باللغة العربية ، وأن الإصبعين اللذين أستخدمهما الآن لا يقدران على كتابة أي معنى للكلمة!

أثارت قصتك الإعجاب والازدهار في داخلي ، وإحساسا رائعًا بالحنين والوفاء للأيام الماضية.

شكرًا جزيلاً لكم على هذه الذكريات المحيّرة والمليئة بالذكاء! أنا انتقلت بتأثيرها لدرجة أنني أكتب وأنا أبكي!

أنا ممتن للغاية لك ولعرفانك وتقديرك. هذه في الحقيقة إشادة عظيمة لن أنساها أبدًا لبقية حياتي. في الواقع هي الوحيدة التي تلقيتها على الإطلاق من الكثيرين الذين تعرفت عليهم في جلسات الموسيقى الكلاسيكية!

يؤسفني أن أقول إنني لم أتعرف عليك من الصورة المرفقة سأبحث عن صورتك بكل تأكيد في كتاب السنة الأخيرة لكلية بغداد للهندسة. وأرفق صورة لي تبلغ من العمر ٣ سنوات في غرفتي الموسيقية كما هو معروف لعدد قليل جدًا من الأصدقاء والعائلة على مَرَّ السنين.

شكرًا لك دكتور محمود المظفر من كل قلبي.

وتقبل أطيب تمنياتي.) نامق

(٥)

حلَّ بنا الرِحال إلى بريطانيا... كان عام ١٩٧٩ ، كل الذي حولي وحول عائلتي جميل ، بيت في الريف الإنجليزي الخلاب وحديقة غناء وفي حي راقي في مدينة [illegible] على بُعد حوالي ٤٠ كم شمال لندن ، وكان قد حلَّ بي الرحال ليس كلاجئ بل موفود لنيل شهادة الدكتوراة في إحدى الجامعات المرموقة ، وكان اختيار تلك المدينة لوجود أنشطة ومراكز بحثية باختصاص المحركات النفاثة ، الموضوع الذي تمَّ لأجله ايفادي.

كعادتي جلست لقضاء بعض الأوقات أتصفح مجلتي المفضلة [illegible] والتي تتضمن مواضيع منوعة ومنها الفن ، لوحات رسوم [illegible] , الطبيعة والموسيقى وغيرها ، فوقع نظري بالمجلة على موضوع يخص الموسيقى الكلاسيكية ، وبرفقته قائمة مختارات مُرشحة من المجلة لمقطوعات موسيقية ومؤلفين عالميين للانتقاء من قِبل القُرَّاء...

قلتُ لنفسي:

– محمود ، الآن يصح دخول هذا العالم الذي عشت في رحابه ساعة ونصف فقط ، فلقد حان الأوان.

انتقلتُ إلى مكتبي في الطابق الثاني ، وحرَّرتُ رسالة معنونة إلى صاحب المجلة – الرجل الأول ، طالبًا منه مساعدتي في الانتقاء الأجمل والأقرب انسجامًا لي كمبتدأ في هذا العالم ، مع نبذة عن عملي وانشغالاتي ، إلخ. وقد استعنت بالقواميس والأصدقاء المتمكنين باللغة الإنجليزية ، من بينهم مدرسة زوجتي أم مظفر الخاصة التي تعلِّمها اللغة الإنجليزية – والمعلمة من

المتطوعات، وزوجة أحد رجال الأعمال الإنجليز تعيش في الحي الراقي الذي نعيش فيه، وميسورة وأميرة بحُسنها وخُلقها، تأتي للبيت متطوعة لتدريس زاهرة التي أنجبت طفلاً – ابنتي زينب – ويتعذر عليها المشاركة في دروس اللغة المتاحة في الكليات... طلبتُ من هذه الحسناء أن تُصحِّح الأخطاء اللغوية الكبيرة في الرسالة، وأن تجعلها مفهومة وواضحة، وتؤشر الرسالة بأنها مكتوبة من شخص أجنبي... رحبَّت المُعلمة بحماس، وكان تقديرها لنا وللعراقيين كبيرًا من خلال اهتمامنا بهذه الأمور... وعملت ما طلبت منها وأجرت التصليحات وتركت بعضها، وانتهيت بالرسالة التي أردتُ من خلالها أن أنقل روح التجربة التي مارستها في تلك الليلة ببيت نامق في العراق.

أرسلتُ الرسالة بالبريد... وبعد عدة أسابيع وصل مظروف كبير يحوي ١٠ أسطوانات للعديد من العظماء كموزارت، وبتهوفن... مع رسالة من مالك المجلة، أهم ما فيها، وصفه لطلبي بأنه (... الفريد والراقي والمهم، وكان قد حظى طلبك بتقدير وإعجاب جميع كادر المجلة الذين شاركوا جميعًا باقتناء المجموعة وهدايا أخرى مجاناً...).

وطبعًا ذهبت إلى المحل في أحد الأسواق المجاورة، وحسب التعليمات التي أرسلها صاحب المجلة، ومعي الكارت التعريفي المرفق مع الرسالة لكي أشتري جهاز قارئ الأسطوانات، والذي اشتريته بتسهيلات وخصم كبير وبالنوعية المقترحة، وتبين بأن صاحب المحل كان مع بين المجموعة الذين شاركوا في تلبية طلبي.

وأصبحتُ مواظبًا على سماع الموسيقى الكلاسيكية، ولكن بأسلوب مختلف عن الذي يمارسه نامق والمجموعة... كنتُ أسمعها خلال تأدية واجباتي البحثية سواء في البيت أو في المكتب.

وكان الجهاز والأسطوانات وجميع أشيائي الجميلة ورسائلي وفيديوهاتي الخاصة وكل ما هو ثمين قد جرى سرقته من بيتي بمنطقة الخضراء المتاخم لحي الغزالية في بغداد... والحمد لله بقت أشياء أخرى من لوحات فنية لدي معلقة بجدران بيتي في وطن المهجر بكاليفورنيا...

وانتهت الحدوتة

الفصل الثاني

تعزيز بناء علاقات التعاون والشراكة الاستراتيجية ، لماذا ؟ وكيف يتم تحقيق ذلك ؟

محطتي في كوالا لمبور - ماليزيا وقصة بناء علاقة الشراكة مع الكبار

تمهيد

لقد أردت من الفصل الأول "قصتي مع الموسيقى الكلاسيكية" أن يكون المدخل للفصول التي تؤلف محطات ترحالي بدول المهجر. حاولت من خلال القصة التي جرت أحداثها في ستينيات القرن المنصرم أن أدخل معكم بصدق وإخلاص إلى دواخل نفسي لكي أبحث عن القوة الكامنة في أعماقها وأعمل على تسخيرها لصقل معالم شخصيتي، حيث كان نص بعض ما أوردت:

- أرى أنني رهين محيط وواقع لا ينسجم مع ما عُرِض على مسامعي، إنه فن غريب، فن مختلف، ولكنه جدير جدًا بالاهتمام!
- ولكن بقي تأثير هذه الممارسة حاضرًا وبقوة في وجداني... تولدت بداخلي حالة إيجابية تدفعني إلى الأمام، وليس نقصٌ يُربكني.

محطتي في ماليزيا (موضوع البحث) تأتي بعد أربعة عقود والتي شهدت النجاح في إبرام اتفاقية الشراكة والتعاون الحكومية في إعادة إعمار البنى العلمية والتكنولوجية والصناعية في العراق. حيث تمَّ إبرام الاتفاقية بين شركتي الخاصة : ٢ :.، التي كانت مُسجلة في كوالا لمبور حديثًا آنذاك، والمؤسسة الحكومية ؛٧ـ٧ المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا والبحوث الصناعية، والمرتبطة بمكتب رئيس الوزراء الماليزي. فقد أسَّس ذلك الإيجاد النوعي مَعلمًا مهمًا في سيرتي العلمية، ومنحني الثقة والاقتدار لمواصلة مهام رحلتي المهنية، الذي لازالت آثاره وانعكاساته الإيجابية حاضرة.

وإليكم القصة...

(١)

إن التعقيدات والتداعيات والتردي الحاصل بمُجمل الأوضاع في العراق وتدخلات الدول المحيطة، كانت جميعها الحافز والدافع للمضي بحزم نحو تحقيق الغايات المتوخاة، فكانت درسًا مُستنبطًا من دروس محطات رحلتي المهنية في دول المهجر...

في البداية، لابد من وصف المناخ العام في أوضاع العراق والدول المحيطة الذي كان سائدًا عام ٢٠٠٦، وقد تحددتُ بسرد الأحداث التي ترتبط فقط بالغايات والإيجادات المهمة المتحققة في هذه المحطة، مع توخي الحذر من الغور عميقًا في التحليلات والتفاصيل لتلك الأحداث لكيلا تخرجني عن جوهر الموضوع...

كان المناخ العام بمجمل الأوضاع الداخلية في العراق مرتبكًا ومعقّدًا، لقد كانت الحالة المجتمعية تشهد تعاظم التخندق الطائفي والإثني والقومي، الذي كان يشهد الانحدار المتلاحق وتردي الظروف الأمنية وازدياد حدة الصراعات والتناحر السياسي بين أحزاب السُّلطة، تبعه التزايد المضطّرد بأعداد العراقيين المهاجرين هربًا من تلك الفوضى الرهيبة، نتيجة اشتداد الصراع بعناوينه المختلفة المعروفة! والتي في حقيقتها جميعًا كانت نِتاج لمخطط عالمي يهدف إلى خلق الفوضى في العراق المثخن بالحروب، تمهيدًا لتقسيمه، وكان الكبار من رجال السياسة العالميين، يسعون سعيًا حثيثًا وعلانيةً بخلق الفوضى العارمة، التي أسموها "بالفوضى الخلاقة – [illegible]!!" [اعتقد الخلاقة من وجهة نظرهم لخلقها البيئة التي

تضمن مصالحهم] فكان الرأي طالما تلك الفوضى العارمة لم تتعدَ حدود العراق لتصل إلى الدول المحيطة فأنها ستكون إيجابية و"خلاقة".

لقد كانت بدايات هذا التحرك الرهيب بإشعال الحرب العراقية الإيرانية، تبعه مباشرةً الفهم الخاطئ من قِبل النظام الحاكم في العراق بأن الولايات المتحدة قد أعطتهم الضوء الأخضر وحرية التحرك لاحتلال الجارة دولة الكويت، حيث كان ضمن ما تعتقد القيادة ضروريًا لحماية مصالح العراقيين، وكان ذلك حين استدعاء السفيرة الأمريكية في بغداد من قِبل القيادة آنذاك. حيث كان ذلك الاستنتاج الخاطئ كارثيًا على العراق. تبعه أعمال النهب والسلب والفوضى الأمنية والسياسية التي قادت إلى احتلال العراق عام ٢٠٠٣، تبعه مباشرةً التطبيق عمليًا على الأرض ما أسميناه "خلق الفوضى العارمة"!! فقد كان أول القرارات الصادمة لبريمر المعيّن بمنصب الحاكم العسكري بعد احتلال العراق: حل الجيش والقوى الأمنية والشرطة، بل حتى إقفال مراكز الشرطة. وحينها وبعد سقوط بغداد، كانت جميع السجون قد كُسرت أبوابها وأصبح اللصوص وأصحاب السوابق والمجرمون أحرارًا، وكانت العوائل العراقية وحرائرها قد لازمت بيوتها وأقفلت أبوابها سجينةً لكي تحمي أفرادها من المعتدي القاتل أو السارق المجهول!! وطبعًا كانت الإغراءات أمام اللصوص والمجرمين يسيل لها اللُعاب، كما يقول المثل، بلد غني، بمؤسساته ومصارفه ومصانعه وجامعاته ومختبراته، بالإضافة إلى المعسكرات المكدَّسة فيها جميع أنواع الأسلحة التي أصبحت خالية من الحراسات، والقواعد الجوية والطائرات وأنظمة الدفاع الجوي وأنظمة الحرب الإلكترونية بأنواعها المختلفة، إنها موارد هائلة... وقد شاركت دول

ومنظمات بعينها في النهب، التي أسموها صلفاً "غنائم القرن". وقد جرى التعتيم على تلك الدول والمنظمات؛ وهي كثيرة.

إلا أن الحقيقة التي أردتُ أن أصل إليها بأن المادة والوسيلة والمورد اللازم لقيام الفوضى العارمة واستمرارها أصبحت متوفرة بأيدي القائمين عليها في الداخل وفي الخارج.

وأمَّا العوائل العراقية القاطنة في هذا العراق العتيد، كان جزءًا كبيرًا منهم يتميزون بالرقي المشهود من قِبل جيرانهم من الدول المحيطة. فقد كانوا متحضرين، ومنهم العلماء والباحثون والأطباء والمهندسون ورجال الأعمال والشعراء والفنانون. وكان معظمهم يتصفون بحبهم للترف والثراء والثقافة، فبيوتهم فارهة ومحتوياتها ثمينة، ووصفي هذا لواقع العراق بعد الاحتلال مباشرةً، بالرغم من معاناتهم جرَّاء الحروب السابقة قبل أحداث ٢٠٠٣، والنظام الشمولي المستبد، وملاحقة التجار والمفكرين، وهجرة أعداد كبيرة من العوائل والعقول بالسبعينات والثمانينات، واحتلاله لجارته الكويت، كما أسلفنا، وحالات السلب والنهب التي حدثت آنذاك. جميعها قد شكلت المناخ العام بمجمل الأوضاع داخل العراق.

وبالمقابل، فمحيط العراق من دول الجوار وخلال نفس أعوام تعاظم الفوضى العارمة، في ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨. لقد كانت معظم الدول المحيطة بالعراق تشهد النهوض والرخاء الاقتصادي بمعدلات متسارعة.

اقتبس النص أدناه للكاتب والمفكر المعروف "فريد زكريا" في صحيفة الواشنطن بوست، وصاحب البرنامج التلفزيوني ﴿" ٥ على قناة " "ا، الأوسع انتشارًا بين رجال السياسة والاقتصاد والأعمال، ذكر في كتابه،

الذي حقق المبيعات الأفضل [illegible]، في الصفحة ٨ ، ما نصه:

(... كان جميع ما لدينا من تنبؤات للخبراء الاقتصاديين المعتمدين حول تردي الاقتصاد العالمي في تلك السنوات كان خاطئًا، وكان الصحيح هو أن خلال الأعوام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨ – التي كانت نفس الفترة التي شهدت تصعيدًا بالصراعات الطائفية والقومية؛ كان الاقتصاد العالمي يشهد ازدهارًا، حيث كانت معدلات النمو الأسرع منذ أربعة عقود مضت، بحيث شهد نمو معدل الدخل للشخص الواحد زيادة تُقدَّر بـــ ٣,٢% مقارنة بأي فترة من التاريخ. فمثلاً وبعد ما شهد العراق عام ٢٠٠٣ الحرب والفوضى العارمة وهروب حوالي مليونين ويزيد من المهاجرين العراقيين إلى دول الجوار، كانت تأثيرات الحرب والفوضى العارمة على دول الجوار طفيفة، بل على العكس كانت الدول كالأردن، والمملكة العربية السعودية، وتركيا وإيران ومصر ودول الخليج الأخرى تتمتع برخاء ونمو اقتصادي. وتركيا المجاورة، مثلاً، شهدت معدل نمو ٧% منذ بدأت الحرب على العراق، والإمارات العربية المتحدة كانت تشهد أعلى وتيرة إعمار وبناء للبنى التحتية والمشاريع العملاقة كناطحات السحاب وكأنها تعيش في كوكب آخر وليست على بُعد ساعة طيران واحدة عن الحرب والفوضى...)!

فعلاً يمكن القول بتحقق صدق المثل القائل "مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ"... مع اعتقادي بسعادة العراقيين إذا ما عمَّ الازدهار والرخاء إخوانهم في دول الجوار، ولكن ليس بالأساليب الظالمة التي تبنتها بعض تلك الدول، والتي أصبحت واضحة للجميع!

وعودة لصانعي ومروجي الفوضى – المنتفعون الكبار ورجال السياسة العالميون والمحليون – فقد كانوا حذروا من مخاطر اتساع الفوضى لكيلا تشمل دول صديقة وحليفة لهم. وما نشهده الآن يؤكد بأن الخطر أصبح يشمل ليس حلفائهم بل امتدَّ ليشمل عالمهم المتمدن [مصادر بحثية قيمّة صدرت من جامعة هارفرد الأمريكية المعروفة وأخرى غيرها ، والبرنامج التلفزيوني [illegible] على قناة " "ا]

جميع تلك المصادر قد وثقت معلومات وحقائق صادمة بما يتعلق بتعاظم تداعيات هذا الصنع الخبيث للفوضى الخّلاقة. ولربما وكما أشارت بعض البحوث ، حتى أن شمول الخطر لبلدانهم كان مُخططًا له طالما تتوفر القدرة بجعل ذلك الخطر بالمستوى الذي يمكن السيطرة عليه ، وطالما يُحقق الوصول إلى الهدف المنشود ، المتمثل بتقسيم العراق وبعض دول منطقة الشرق الأوسط استكمالاً لمعاهدة سايكس بيكو وتشكيل الشرق الأوسط الجديد.

(٢)

"عند البدء في مشوارك المهني فأسعى بسعيك مبتدئًا من الكبار! سيقودك هذا السعي إلى التعرّف على أصحاب القرار في مشاريع اهتماماتك"

كان هذا هو الدرس الآخر من الدروس المُستنبطة.

عودة إلى القصة موضوع البحث، حول أنشطتي المهنية وأهم الإيجادات في محطات دول المهجر: الأردن والبحرين ومسقط وصولاً إلى محطتي في كوالا لمبور عاصمة ماليزيا، والتي انحصرت جميع أحداثها بالأعوام بين ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨.

لقد كان المكان حدائق السفارة البريطانية في عمَّان والمناسبة كانت احتفال بذكرى تتويج ملكة بريطانيا، وكانت الدعوة من الملحق التجاري في السفارة البريطانية قد وصلت إلى عنواني في الشركة التي تمَّ تأسيسها في عمَّان مع رجل أعمال معروف من الأخوة العراقيين الأفاضل، وأيضًا شخصية أردنية فاضلة من الأصدقاء، لمقتضيات الضوابط الأردنية حين إقامة مؤسسة من قِبل عراقيين، وكان من بين أهم أنشطة المؤسسة آنذاك اشتراكنا في المعرض الدولي لإعمار العراق الذي أقامته المملكة الأردنية، وقد حظي جناح شركتنا باهتمام متميز من بين الأجنحة الأخرى المشاركة، متمثلة بزيارة الوزير الأردني والوزير العراقي لجناحنا في حفل افتتاح المعرض، وكانت قوة جناحنا بمشاركة أكبر ثلاث شركات يوغسلافية متخصصة ببناء البنى التحتية ولها مشاريع كبيرة في العراق لم تستُكمل، وكنتُ حينها أعمل

مستشارًا لتلك الشركات بمشاريع إقامة الأعمال في ثلاث دول هي العراق والأردن والبحرين...

ففي تلك الحدائق الخلابة في السفارة اخترتُ جانبًا منزويًا ولكنه مرتفع قليلاً ويشرف على باحات الحديقة الغنَّاء، كان أحد أيام الربيع الجميلة في الأردن، وكان الحاضرون عمومًا دبلوماسيين من السفارات الأجنبية في الأردن ، ورجال أعمال ، وشخصيات سياسية واجتماعية عربية ، وبعض شيوخ عراقيين من المناطق الغربية... كنتُ مرتبكًا ومهمومًا ومتوترًا ، ولكني أمتلك رؤية كامل الوضوح عمَّا أريد تحقيقه من قبولي لتلك الدعوة الراقية!! كان يملؤني شعور غير المستعد أو المؤهل بعد لحضور مثل هذا النوع من الحفلات الدبلوماسية ، حيث لم يتسنَ لي اصطحاب زوجتي ، لاضطراري للذهاب إلى الحفل بمبنى السفارة بسيارة تاكسي ، وكنت متوقعًا المحددات الأمنية التي ستواجهنا ، وأيضًا الفضول المتوقع الآخر من سائق التاكسي بإلقاء سيل من أسئلة بعنوان الوطنيات والانتقادات لأن العراقيين اللاجئين عادةً ما يخلقون المناخ المُشجِّع على مثل هذه الثرثارات، خاصةً وأنني حينها لم أكن حصلتُ على الإقامة في الأردن ، وأصبح موضوع الإقامة بعيد المنال! رغم استكمالي جميع المستلزمات حسب الضوابط المعمول بها : الرصيد في البنك، امتلاك سكن، وتأسيس شركة عاملة وفاعلة، أي توظيف محليين أردنيين برواتب مجزية... ولكني عرفتُ حينها أن الحصول على الموافقة أصبح موضوعًا معقدًا...

كانت جميع هذه الأفكار المحبطة تدور في ذهني وتتصادم معها تلك الذكريات والتأملات والأحلام التي عشتها مع الموسيقى الكلاسيكية قبل حوالي العقدين من الزمن ، حينها كنت في الصف الثاني بكلية الهندسة

بجامعة بغداد، وحيث نقلتني أنغامها إلى عالم كنت أرى فيه المستقبل الزاهر الذي ينتظرني بعد التخرج وأصبح مهندسًا، وحيث رسمتُ في مخيلتي الطريق الذي سأبتدأ به خلاله رحلتي المهنية، بعد تخرجي وأصبح مهندسًا ناجحًا مواصلاً السعي والتقدم إلى الأمام في مجالات العلوم والهندسة والأعمال.

وهنا صحوت من الترحال في رحاب خيالي بنداء من فؤادي مخاطبًا نفسي المرتبكة المهمومة:

- محمود، أخرج من انزوائك، ابتسم... ها أنت المهندس والدكتور الذي نجحت في إنجاز مراحل مهمة من مشوار رحلتك المهنية التي كنت قد تمنيتها، وتوجّتها بتقليدك وسام الرافدين لنجاحك بقيادتك، مع فريق من الخبراء المهندسين، بإنجاز مشروع تكنولوجي تطوري كان له مردودات اقتصادية كبيرة، حسبما نصَّ عليه مرسوم التقليد لذلك الوسام الوطني الرفيع... تحرك من وقوفك وانعزالك جانبًا واذهب وشارك الجموع المنتشرة بمجموعات صغيرة وتبادل الأحاديث والتعارف، وتمتع بالموسيقى وبالمأكولات الخفيفة والحلويات وأنواع المشروبات من أطقم المعينّين الذين يجولون بين تلك الجموع بملابسهم الجميلة المميزة وهم يحملون الأطباق المنوّعة من المأكولات الشهية، التي يتميز بها مثل هذا النوع من الدعوات الدبلوماسية... محمود، ابحث عن صاحبك، فسوف يقودك إلى ما تريد.

وأنا بهذه الحالة وإذا بشخص يمسك كتفي الأيمن، بادرتُها:

- أهلاً سيدتي سارا (اسمها الأول)...

قاطعتني بعد تلك الكلمتين... معتذرة عن التفتيش والتدقيق الذي تعرضتُ إليه في بوابة حدائق السفارة، قائلة:

– أهلاً بك في سفارتنا... لقد كان ذلك لمقتضيات الأمن، وأعتقد أنك تقدِّر هذا...

بقيت مندهشًا من علمها بما حلَّ بي حين اقترابي وسائق التاكسي إلى مبنى السفارة... لاحظتْ اندهاشي، أجابت من دون أن أنطق:

– أخبرني رجل الأمن بتفاصيل ما حدث.

– طبعًا إنني متفهم، ورجال الأمن كانوا يتصرفون بغاية الكياسة والاحترام، رغم أن سائق التاكسي كان جاهلاً وفظًّا وثرثارًا معهم، وعند اقترابنا من مبنى السفارة لم يلتزم بالإشارات المعلّمة، مما عقّد الموضوع.

بادرتُ بتغيير الموضوع موجهًا الحديث إليها وأنا مبتسم:

– الأناقة والذوق الرفيع بدى واضحًا من اختيارك للملابس الجميلة سيدتي.

– شكرًا لمديحك محمود.

تجدر الإشارة إلى أن السيدة سارا هلدرزلي مدير قسم التجارة الدولية في السفارة البريطانية في الأردن وفي العراق، وكان لدينا معها عدة اجتماعات عمل معظمها لغرض التداول بشأن جلب الشركات البريطانية آنذاك للاستثمار والعمل في العراق، ولكن تردي النواحي الأمنية كان دائمًا العقبة التي تقف أمام تحقيق أي شيء.

بادرت السيدة سارا بتقديم زميلها الذي يعمل في السفارة البريطانية في كوالا لمبور...

– دكتور محمود، اسمح لي أن أعرِّفك على الشخص الذي يملك الإجابات لتساؤلاتك السابقة، وهو الجدير بأن يعرّفك على تفاصيل مفيدة لتحقيق مشروعك في العمل والإقامة بماليزيا.

– شكرًا... أجبتُها مصافحًا زميلها...

استمرَّ تبادل الحديث بيننا حوالي خمس عشره دقيقة، وتصافحنا مرة أخرى بعد تبادل بطاقات التعريف الشخصية، والاتفاق حول تفاصيل إجراء اللقاء القادم في كوالالمبور...

بعدها منحتُ لنفسي الفرصة للخروج من التركيز والتوتر، والاستمتاع في رحاب ذلك الحفل الملوكي الراقي، وخصوصًا بعد ولادة الأمل الذي كنت أخطِّط نحو تحقيقه، حيث وجدتُ المثابة لبدأ مهام محطتي القادمة في ماليزيا المتمثل بالاجتماع المرتقب الذي تمَّ الاتفاق عليه مع الملحق التجاري في السفارة البريطانية بكوالا لمبور في ماليزيا... حيث كان هذا اللقاء سيمثل إيجادًا مهمًا، من حيث امتلاكه المعلومات الدقيقة عن الأنشطة المهنية في ماليزيا، من خلال موقعه الدبلوماسي في الساحة، وحينما تكون الشركات البريطانية مستفيدة سوف يندفع بجدية للتعاون معي.

تجدر الإشارة إلى أن المملكة المتحدة البريطانية ساهمت في إعادة إعمار وبناء ماليزيا الحديثة استنادًا إلى اتفاقية التعاون الاستراتيجية الموقعة في خمسينات القرن المنصرم بين البلدين بعد منح الأخيرة الاستقلال.

لذلك كنتُ واثقًا بأن اللقاء معه سوف يمكِّنني من معرفة الكثير بخصوص إقامة مشاريع البنى التحتية – الصناعية والعلمية والتكنولوجية، وإعمار المُدمَّر منها بالعراق، والتي كانت ولا تزال مركز اهتماماتي خلال العقدين المنصرمين. حيث لا يخفى على الذوات المتمرسين بأهمية العلاقات العامة في إقامة المشاريع الاستراتيجية، بأن مشاركة الكبار من ذوي الخبرة والاقتدار سوف يكون بداية البداية الناجحة... لذا ألهمني هذا الإيجاد درسًا آخر من الدروس المُستنبطة:

(عند البدء في مشوارك المهني فابدأ من الكبار! سيقودك هذا السعي إلى التعرف على من هم أصحاب القرار النافذ في مشاريع اهتماماتك).

(٣)

"التركيز على معرفة مكامن القوة بنفسك ، والتعرّف على المسالك والمهارات لتسخير تلك المكامن ووضعها كبرنامج عمل وخارطة طريق ، سوف تكّون الدليل لمشوار أدائك المهني والمنهج لإنجاز مشاريعك"

درسٌ مستنبط أثبت جدارته في الإيجاد والتحصيل الكبير في محطتي بماليزيا...

غادرتُ أنا وزوجتي الأردن متوجهين إلى ماليزيا وأنا أحمل الأفكار والخطط والمهام المُعدّة مسبقًا ، كإجراء ترتيبات الإقامة ، تحصيل السكن الجيد ، التأثيث وشراء سيارة... وكما يقول المثل : بدأ الحدوتة من المربع الأول مجددًا! ، لكن هذه المرة في بلدٍ يشاركنا عنوان الانتماء الديني "الإخوة الإسلامية" وليس عنوان "الإخوة العربية"!

كانت الخطوة الأولى إيجاد مؤسسة محاماة متخصصة في استخراج الإقامة والأعمال والاستثمار ، وكان لدي عناوين لعدة مؤسسات قانونية اخترت أفضلها ، اتصلت بها هاتفيًا وأجريتُ محادثة مختصرة طالبًا التحدث مع المدير الأعلى للمؤسسة ، حيث كان لدي عدة عناوين قانونية تحتاج الاستشارة ، تتعلق بأمور الإقامة ، وتسجيل الشركة وممارسة الأعمال والاستثمار ، والسكن وفتح الحساب المالي بالبنوك المعتمدة ، وقد كانت كل هذه العناوين قد جرى ترتيبها برسالة أعددتُها مسبقًا إعدادًا جيدًا مع مرفق بالسيرة العلمية والذاتية ، ورسالة تغطية معنونة إلى مدير عام مؤسسة المحاماة تتضمن طلب تقديم الخدمات القانونية كحزمة واحدة ، موضّحًا

الأغراض والغايات والرؤى من هدف الإقامة والعمل في ماليزيا، وأرسلت جميع تلك الوثائق بالبريد الإلكتروني على العنوان الشخصي لمدير المؤسسة بعد إنهائي المكالمة مع مدير المكتب في المؤسسة.

كانت الإجابة سريعة وإيجابية وكما توقعتها، وأن المدير العام ومساعديه سيكونون جاهزين في اليوم كذا الساعة كذا مع الوقت المقترح.

وهكذا تمَّ عقد أول اجتماع عمل وكان في الرُبع الأول عام ٢٠٠٨... استقبلتنا موظفة العلاقات في مدخل البناية وقادتني وزوجتي إلى مكتب المدير العام [السيد حريص] الذي رافقنا إلى غرفة الاجتماعات، كان يتكلم الإنجليزية، بادرني الحديث:

- أنا سعيد بالتعاون مع عميل عراقي وبهذه الخصائص والمميزات [من قرائته للسيرة الذاتية]، لقد كنا أنا وزوجتي معجبين بمستوى ونوعية المشاريع التي ساهمت في إنجازها د. محمود! وأبهرنا نيلكم شهادة الدكتوراة بالتعاون بين الجامعة البريطانية وشركة الرولز رويز لصناعة المحركات النفاثة (كانت نتيجة قراءته نص المحتوى في وثيقة شهادة الدكتوراة الصادرة من جامعة هاردفوردشاير البريطانية).

تجدر الإشارة أن الماليزيين متأثرين جدًا بالثقافة البريطانية كون ماليزيا كانت مستعمرة بريطانية سابقة...

تابع السيد حريص:

- سمعتكم الكبيرة أنتم العراقيون سابقة لكم، أهلاً وسهلاً بكم في كوالالمبور.
- شكرًا أستاذ حريص... كانت كلمات استقبالكم لنا تعكس شخصيتكم الفذة والسُّمعة الجيدة التي تمتلكها مؤسستكم الرصينة...

واستطردت معه الحديث:

- لدي أمران أساسيان أسعى لتحقيقهما: الأول إيجاد المحامي الكُفء الذي يسعى لحماية توجهّات تحركي في الساحة الماليزية قانونيًا، ويبدو من استعدادكم وترحيبكم بنا أنه قد تمَّ إنجاز هذا الأمر! والأمر الثاني إيجاد البنك الماليزي الذي يتعامل مع العراق لفتح الحساب المصرفي لشركتي، بشرط أن يكون البنك مؤمناً بمستقبل العراق رغم ما يتعرض له الآن من أذى، وأنه البلد الأفضل استثماريًا، لأنني سأعوّل على التعاون مع البنك في إنجاز أعمالي، عادةً مؤسسة المحاماة التي تتعامل بأنشطة الأعمال والاستثمار هي أدرى وأعلم بذلك، وأرى يا سيدي انكم ستكونون أول المشاركين والمستفيدين إن شاء الله حين نجاحي بأداء المهام الموكلة.

استمرت الاتصالات مع المحامي لمتابعة واستكمال الإجراءات الواحدة بعد الأخرى، وبانسيابية جيدة.

وذات يوم أثناء زيارتي مكتب المحامي طلبت منه مساعدتي بمتابعة الحصول على إجابة لرسالة سبق أن أرسلتها إلى رئيس المؤسسة الماليزية للعلوم والبحوث الصناعية والنوعية، وناولته نسخة من الرسالة، بدأ يقرأها ومن سطورها الأولى بادر المحامي وبصوت وابتسامة وعلامات اندهاش:

- نعم دكتور محمود، بالطبع سوف أتابع وأجلب الإجابة، وبأسرع وقت

- شكرًا أستاذ حريص.

استمر في حديثه:

- يا للمصادفة العجيبة، أتعلم دكتور محمود أن زوجتي مدير مكتب رئيس المؤسسة؟

ثم انهال عليَّ بعد ذلك بعدة أسئلة:

- كيف ومتى عرفت المؤسسة؟ ومن الذي أشار عليك ونصحك بالاتصال برئيسها؟ وكيف وصلت لعنوانه؟...

قاطعتُه:

- أستاذي، إنه الإنترنت، وموقع المؤسسة هو الذي أوصلني.

كانت إجابتي إليه مع ابتسامة، واستطردت:

- ولم أجد أي محذور من أن أراسل رئيسها مباشرةً وهو الناشر لعنوانه الإلكتروني الخاص على موقع مؤسسته! ولأني وجدت في نفسي أني أمتلك بعض المقدرة على العمل والتعاون مع المؤسسة التي يقودها؛ قمتُ بتحرير الرسالة طالبًا لقائه.

لقد كان ذلك اليوم الممطر من الأيام الماليزية من شهر نيسان من عام ٢٠٠٨ اليوم الذي تمَّ تحديده للقاء أحد المسؤولين في مؤسسة [اسم المؤسسة الماليزية]، حملت معي أهم ما يمكن أن أقدِّمه وأعرضه لجذب اهتمام وانتباه الشخص الذي سنقابله، وتوجهنا وزوجتي برفقتي إلى مكتب المحامي الذي كان بانتظارنا لنذهب سويًا إلى مكان الاجتماع في مقر المؤسسة الماليزية.

لقد قمت بدراسة مستفيضة للمعلومات التي تتعلق بمعظم الأنشطة والمرافق التي تمتلكها المؤسسة الماليزية التي أروم العمل والتعاون معها، بالإضافة إلى تدقيقي في الموقع الإلكتروني الخاص بالمؤسسة، فوجدتها الأكبر والأرفع والأهم والأكثر اقتدارًا في مجال اختصاصاتها بماليزيا وبمنطقة جنوب شرق آسيا. وأن ( ) يمثِّل الأحرف الأولى من اسمها الكامل باللغة الإنجليزية:

[illegible]

وترجمته بالعربية: المؤسسة الماليزية للعلوم والبحوث الصناعية والنوعية.

تتألف [illegible] من عدد من مراكز البحث والتطوير في المجالات الصناعية والتكنولوجية والقياسات والمواصفات النوعية وفي مجال الفضاء، ووجدت أيضًا بأن وزارة العلوم والتكنولوجيا الماليزية من بين المشرفين المباشرين على أداء مهامها، وكذلك وجدتُ عددًا من الشخصيات الرسمية الرفيعة سبق وأن قاموا بزيارة المؤسسة وتوقيع اتفاقيات وبرتوكولات تعاون ومذكرات تفاهم، منهم على سبيل المثال وزير الطاقة / الصناعة السوداني، المستشار العلمي لرئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومسؤولين كبار من جمهورية مصر العربية والسعودية، وغيرهم من مختلف الدول.

وصلتُ وزوجتي برفقتي إلى مكتب المحامي الذي كان بانتظارنا ، بدأ المحامي يوجزنا بتفاصيل اللقاء الذي سيتم خلال ساعة من الآن ، واستطرد بسرد التفاصيل:

- سيكون اللقاء مع رئيس المؤسسة شخصيًا ، فقد رغب أن يجتمع بكما ليعلم المزيد عمَّا حلَّ بالعراق!...

لقد كان هذا الخبر مدهشًا ومفاجئًا لي، حيث كان علمي وحتى طموحي أن يكون بمستوى مدير فقط من ذوي العلاقة!...

أكمل المحامي حديثه:

- عندما تروم شركة من القطاع الخاص طلب تعاون مع المؤسسة يكون أحد المدراء في المؤسسة أو في بعض الأحيان نائب رئيس المؤسسة لشؤون الشركات والعلاقات العامة ، ولكن اهتمام رئيس المؤسسة وقلقه على

العراق ، وما قامت به زوجتي (مدير مكتبه) من إيجازه ببعض حيثيات اجتماعنا السابق معكم كان وراء قرار الرئيس أن يكون هو الحاضر! وسأكون أيضًا معكم دكتور محمود ، لأنني أخذت الضوء الأخضر ، وتمَّ ذلك بمساعدة زوجتي أيضًا... أعتقد أن هذه أخبار سارة لك؟.

– طبعًا طبعًا... شكرًا جزيلاً، إنها بداية مشجعة.

بعدها ساد الهدوء ، وأنا مستذكرًا حزمة المعلومات التي استخلصتها من مؤهلاتي والمشاريع التي أنجزتها خلال سيرتي المهنية لغرض التحدث بها في الاجتماع ، وحينها انتابني شعور بالتردد وعدم القناعة بقيمة تلك المعلومات بعد معرفتي بأنني سأكون أمام الشخص الأعلى في المؤسسة! وأصبح الأمر يتطلب التفكير بشيء أكثر قيمة ومعنى وملخّص للتحدث مع رئيس المؤسسة ، فالوقت سيكون قصيرًا... وكان قراري التوكل على الله القدير وترك الأمور لحينها، معتقدًا أنه سيكون الأفضل.

وجهتُ كلامي بابتسامة وأريحية إلى المحامي:

– أشكر فضلك يا سيدي ، فلقد أثبتَ جدارتك وكفاءتك بأول خطوه عملية نخطوها، ونشكر سعي السيدة زوجتك، وإن شاء الله سبحانه وتعالى يبارك هذا اللقاء.

تحركنا نحن الثلاثة ، أنا وزوجتي نتابع خطوات المحامي وهو سائر نحو سيارته ليقلني إلى الإدارة العليا لمؤسسة ﴿٧ـ٧﴾ التي تبعد حوالي نصف ساعة عن مكتبه... وخلال توجهنا بدأ المحامي يشرح لنا... بأننا وحين دخولنا الإدارة العامة لمؤسسة ﴿٧ـ٧﴾ سنشاهد النموذج للبناء المستقبلي الذي سيشهده العالم بعد عام ٢٠٢٥ ، وكنتُ أنا حينها غارقًا بالتفكير واستحضار مفردات الحديث المناسب الذي سأتكلم به بعد قراري بترك كل

الملاحظات التي كنت قد هيأتها ، وكان شعور الارتباك انتابني... مدمدمًا : بيَّض الله وجهك يا حريص هاي هم فوكه ستكون البناية مال الخيال العلمي... الله يستر.

(٤)

"في عالم الأعمال إن إقناع الكبار بالشراكة لتحقيق مشاريعك المهنية [المجدية] لوطنك ولهم ، يتطلب أن تثبت بأنك أكبر من كبيرهم ، ولا سبيل لك لذلك إلا أن تتبني مفردات سيرتك العلمية وإنجازاتك المهنية وتجعلها شاهدًا حيّا ينطق بحبك لوطنك ، حينها سيتوج سعيك بالنجاح المحقق".

لم يطول انتظارنا في صالة الانتظار الفخمة الخاصة بكبار الزوار (كما تنص الإشارات المُعلّمة) ونحن نسير في أروقة المؤسسة ؛٧ـ٧، حيث أبدع المعماريون والفنانون بجعلها البانوراما الناطقة والعارضة لمراحل التطور التي شهدته ماليزيا ، من خلال جدرانها المغطاة بشاشات كبيرة تعرض المحتويات المختارة بعناية كبيرة لكي تحاكي تاريخ حركة التطور والبناء وحملات الإعمار ودور المؤسسة ؛٧ـ٧.

جاءت السيدة فاطمة مدير مكتب رئيس المؤسسة ، ألقت التحية وطلبت منا متابعتها عبر عدد من مكاتب مفتوحة ومنسّقة بالتصاميم المعاصرة ، إلى حيث مكتب رئيس المؤسسة الذي استقبلنا وقادنا بدوره إلى قاعة الاجتماع الخاصة به...

– أهلاً بالسيدة زاهرة والدكتور محمود ضيوفنا من العراق العزيز علينا وعلى جميع الماليزيين.

كان ذلك أول ما بادر به رئيس المؤسسة، واستطرد وهو يتصفح برسالتي وموجهًا الحديث لي:

– شكرًا لتقديركم وإعجابكم بمهنية مؤسستنا.

علمت بأن دوري قد بدأ:

– شكرًا جزيلاً للوقت الذي منحته لنا سيدي الحاج يحيى بن أحمد. ["الحاج" لقب رفيع يستخدم كتتويج لعناوين الأشخاص].

استطردتُ:

– لم أكن أتوقع أني سأكون وجهًا لوجه مع حضرتكم في الاجتماع الأول ، إنني سعيد ومندهش، شاكرًا الله العزيز لهذا التقدير.

بعد هذه الكلمات أحسستُ بشعورٍ من الأريحية، واستطردتُ بحديثي:

– سيدي الفاضل لقد علمتُ قبل حوالي الساعة من السيد حريص (محامي شركتنا) بأن المقابلة ستكون مع سيادتكم، ولذا كان قراري التحدث بما "قلَّ ودلَّ" كما يُقال ، آخذًا بنظر الاعتبار أهمية الوقت ، مختصرًا حديثي إليكم... فلذلك سأختصر حديثي على إجابة تساؤلات اعتقدتُ أنها قد تدور في فكركم: من نحن؟ وما الذي نريده ونتوخاه من مؤسستكم الموّقرة؟ وما هي قدراتنا ومواردنا؟ وما هي خطة التنفيذ على أرض الواقع؟... أربعة أسئلة المطلوب أن أضع إجابات واضحة ومسؤولة أمامكم.

بدأ حينها موافقًا ومنتظرًا لما سوف أقوله من علامات كانت تصدرها العيون وحركات الوجه، لغة حركات الجسم (لغة الجسد)... كنت أتحدث بكلام وبعبارات متزنة وبصوت تتصاعد نغماته بلطف لتُسمع المقابل بأنها منطلقة من شخص واثق بنفسه ومقتّدر ويعني بما يقول، ولكنه مقيّد ومُحاط بالظروف الجيوسياسية وتداعياتها المُعقدة!...

استطردتُ موجهًا الحديث مسترسلاً وبسلاسة واحترام:

– فأما من نحنُ ؟ إنني المتكلم فلان المُعّرف بالسيرة الذاتية بين يديكم، والسيدة زاهرة عجينة، زوجتي الحاصلة على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية والشريعة الإسلامية من جامعة بغداد [عناوين اللغة العربية والشريعة الإسلامية لها مقام وتقدير عال في المجتمع الماليزي] وقد اضطررنا لمغادرة العراق مجبرين، وأقمت الشركة (▒▒▒ ▒ , ▒▒▒▒ ▒ ▒▒ : ▒▒▒▒ ▒. : ▒ :. ▒▒▒ ▒ :) ونحن المؤسسان لها، وقد تمَّ تسجيلها برأس مال بسيط المسموح به حسب الضوابط (٣٠٠ دولار)، وقمنا بإيداعه في أحد البنوك الماليزية، وقد اتخذنا السيد حريص (ملتفتًا إليه ومبتسمًا) المحامي الوكيل والكافل بأهليتنا القانونية. ولعلكم اطلعتم في رسالتي على مؤهلاتي وسيرتي العلمية والذاتية والمشاريع التي ساهمت بإنجازها...

أما ما الذي نريده ونصبو لتحقيقه:

نود سيدي أن نبرم اتفاقية شراكة وتعاون بين مؤسستكم الموّقرة وشركتنا المسجلة في ماليزيا، ملخص غاياتها نقل التكنولوجيا الخاصة بالنموذج الناجح في بناء العاصمة كوالا لمبور الذي أنجزته مؤسستكم الموّقرة، وجعلها تمتلك تلك القاعدة العلمية والتكنولوجية الواسعة العظيمة، وأن يتم تطبيق ذات البرنامج في العراق لغرض إعادة إعمار البنى التحتية – العلمية والصناعية والخدمية – لبغداد المدمرّة، وأن يتولى استشاريوكم وخبراؤكم تقديم المشورة العلمية والفنية، وتدريب المهندسين والفنيين والكوادر الإدارية والخدمية العراقية (خلال حديثي بدأتُ استقبل مؤشرات بالاهتمام من لدن رئيس المؤسسة!).

وأمَّا ما هي الموارد التي تجعلنا مؤهلين ونحن بهذه الإمكانات المتواضعة وفي هذه الظروف الصعبة؟!

سيدي الفاضل – متحدثًا بقوة المُقتدر – فبرغم الدماء التي سالت ولا تزال تُسفك والتضحيات المستمرة إلا أن موارد العراق البشرية جميعها : المهندسون الاستشاريون والفنيون سنجعلهم بعون الله الكوادر الفاعلّة في المشروع، وكذلك الثروات الطبيعية التي حبا الله العراق بها، نجعل جميعها تخدم مشروعنا المرتقب، بالإضافة إلى استعداد كوادر استشارية بريطانية، كانوا زملائي لي في الدراسة والعمل ، وكذلك الخبرات والمؤهلات والإنجازات التي توجتّها بتقليدي وسام الرافدين لمردوداتها النوعية على اقتصاد البلد، والتي تركت آثارها التشوهات على أجزاء من بدني علامات شاخصة أرادها الله عز وجل أن تكون شاهدًا حيًّا على حُبي للعراق...

والسؤال الرابع المهم: ما هي خطة التنفيذ على أرض الواقع في ظل الواقع الأمني المتردي والظروف الأمنية الخطيرة في عموم العراق؟

سيدي رئيس المؤسسة أعترف لكم بأن الخطورة وصلت إلى الحدود التي لا تُطاق، ولذلك تراني هنا بينكم، ولكني لم آتي إلى هنا هربًا لا سامح الله، بل أتيتُ لهدف، فلقد قدمت إلى بلدكم المعمور ومعي مشروع متكامل مؤلف من جزئين: الجزء الأول؛ هو عين الموضوع الذي نحن الآن نتباحث بصدده مع معاليكم... والجزء الثاني ؛ يخص خطة التنفيذ على أرض الواقع... كنت مجيبًا على السؤال الرابع... وأن ملخص الخطة هو انشاء منطقة أو مناطق آمنة في العراق لغرض استقبال الشركات العالمية، يتم تهيئتها لكي تكون مقرات متكاملة الخدمات للشركات التي ترغب في العمل والاستثمار في العراق ، ويجرى فيها توفير جميع المستلزمات الفنية واللوجستية لتسهيل

أعمال الشركات (مماثلة إلى المناطق الحرة) ولكن يُضاف إلى هذه المناطق الآمنة وحدات سكنية مناسبة وأماكن ترويحية ومدارس (بالحدود الدنيا) لسكن عوائل العاملين، من مهندسين واستشاريين أجانب، والأهم من ذلك توفير قوات الحماية المرّكزة والكافية، وتؤلف المنطقة الآمنة ومرافقها (المجمع) وكأنه قاعدة عسكرية، ولكنه مجمع وقاعدة لاستضافة الشركات الأجنبية العاملة في العراق وعوائلهم، الذي يوفِّر الأمن وظروف العمل والمعيشة الجيدة مما يجعله، وكما يطلق عليه في عالم الأعمال "المهبط الآمن لعمل الشركات في مناطق الصراعات – [illegible]". ويعتبر انشاء المجمع الآمن ([illegible]) بحد ذاته مشروعًا استثماريًا يتنافس على انشائه المستثمرين. ولدى الدولة العراقية كثير من القواعد الجوية المجهزة تصلح لكي تكون شريكًا فعّالاً في انشاءه ([illegible])[1].

إن خطة التنفيذ على أرض الواقع التي تمَّ إعدادها، تمثّل جوهر التجربة الماليزية – البريطانية لإعادة إعمار وتطوير ماليزيا في خمسينيات القرن العشرين، وقد درستُ التجربة دراسة تحليلية مستفيضة، ووضعت مقترحات لتطويرها وتطويعها وبما ينسجم وواقع العراق والحالة المجتمعية...

١– الفصول القادمة تتضمن التفاصيل لبعض المشاريع التطويرية الخاص في حركة الإعمار، من بينها "مشروع انشاء المجمعات التكنولوجية – Technology Parks "، والمشروع الاستراتيجي الشامل "تعليم العلوم Science؛ التكنولوجيا – Technology؛ الهندسة – Engineering؛ والرياضيات – Mathematics، وتدعى اختصارا (STEM)، بتبني طرق التجريب المعاصرة – Hands on science learning، والتعليم الجمعي، وبمشاركة مجالس المحافظات والجامعات والمعاهد والمدارس والقطاعات الاجتماعية الأخرى.

سيدي رئيس المؤسسة: كان ذلك خاتمة الإجابات للأسئلة الافتراضية الأربعة شاكرًا لكم مرة أخرى الوقت الذي منحته لنا والانتباه والإصغاء الكبيرين الذي أبديتموه.

- شكرًا دكتور محمود ، لقد أتحفتنا بحديثك ، وأقدر عاليًا التقديم الشامل والدقيق وقد أصبح لدي الوضوح الكامل عما هو المطلوب!! ولكن اعتراضي بما ورد من حديثك وأيضًا في رسالتك ، (قالها مبتسمًا)... كمثال "نطلب من مؤسسة ؛٧ـ٧ بتعليم العراقيين العلوم... وغيرها"... كلا محمود ، كيف يمكننا نحن أن نعلمكم العلوم وأنتم العراقيون من علّم البشرية العلوم ؟ فمنكم قد تعلمت البشرية الكتابة والقانون ، ومنكم كان علماء الرياضيات والطب والجبر ووو... نشكرك دكتور محمود مرة أخرى لحديثك الدقيق والهادف ، وأعدكم سأكون معكم وفي جانبكم ، وسوف استدعي نائب رئيس المؤسسة ، صاحب العلاقة ، ومعه المدراء العامين للاجتماع بكم، وسأكون حاضرًا وشاهدًا! وخلال الأسبوع القادم إن شاء الله ، سيكون الاجتماع في القاعة الرئيسية ، وسوف نقوم بتسجيلها تلفزيونيًا وتوثيقها ، أسوة بدول سبقتكم في إبرام اتفاقيات مماثلة ، ومن جانبكم سيتم دعوة السفير العراقي في كوالالمبور وأي شخص آخر ترونه مناسبًا لحضور مراسيم توقيع الاتفاقية، وستكون مديرة مكتبي على اتصال مستمر معكم لاستكمال التحضيرات. بالإضافة إلى ذلك ، سأكلِّف القسم القانوني بتهيئة مسودة وثيقة الاتفاق، وسأقوم بنفسي بتدقيق المبادئ العامة للتعاون لكي أتأكد بأنها لصالحكم... والآن د. محمود حان انتقالنا إلى الغرفة المجاورة لتناول بعض المأكولات الخفيفة والمرطبات والتحدث بما يمكن الحديث به.

حينها استعد الجميع للنهوض والتوجه إلى الغرفة الأخرى.

أخذنا نحن الأربعة مواقعنا حول الطاولة حاملين بعض المأكولات الخفيفة [من اليمين: المحامي ، محمود ، الحاج يحيى بن أحمد، وزاهرة].

كان حديثنا عن روعة التصاميم والتنفيذ في بناء المنشأ الذي نحن فيه، وكان أيضًا يدور حول أوضاع العراق، ومعظمه كان إجابات لتساؤلات من قِبل السيد رئيس المؤسسة... وكانت مشاركة زاهرة مفيدة وهادفة، حين توجّه إليها رئيس المؤسسة بمداخلة:

- أنتم العوائل العراقية تمثلون القدوة في أمتنا الإسلامية... وأودُّ سيدتي زاهرة أن أعرف بعض الشيء عن اختصاصكم.
- شكرًا الحاج يحيى، كانت غايات دراستنا بكلية الشريعة في جامعة بغداد تعلم مهارات وأساليب التفكُّر بآيات القرآن الكريم، يُمنح الناجح شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية، وكان امتلاكي للاختصاص النحو في اللغة العربية تحصيل حاصل...

[الحق يقال لقد عزَّزت زاهرة من خلال إجابتها ما قيل من وصفٍ رفيع للقيم التي تتمتع بها العوائل العراقية].

بعدها عرجتُ إلى أخر ما تحدث به رئيس المؤسسة قبل انتقالنا إلى مكان تناول المأكولات...

– سيدي الحاج يحيى، لقد فاق إسنادك ووقوفك المتحمّس كل التوقعات، إنها وقفة رجل شجاع وكريم بمدِّ يد العون لشعبٍ عظيم في تاريخه وبتضحياته إنه بحق موقف يعكس حقيقة ومعدن الأصدقاء الطيبين... أشكركم شكرًا جزيلاً ، وبالأخص قرار حضوركم شخصيًا والإشراف على حيثيات الاتفاق المزمع إقامته مع مؤسستكم الموّقرة... إنني أرى بوضوح نجاح مهمتنا بفضل وتقدير من الله سبحانه... ولكن إن سمحتم سيدي الحاج لي بعض الملاحظات اللوجستية أودُّ أن أضعها أمام أنظاركم: من جانبنا لا أفضل دعوة السفير العراقي ولا يوجد لدي أي جهة أخرى أوجِّه الدعوة لها، وكما أعتقد ليس من المُستحسن تسليط الأضواء على نشاطنا في هذه المرحلة ، ولكن التوثيق وحفل توقيع الاتفاقية سوف يكون أمرًا مهمًا ورائعًا تُشكرون عليه.

أجابني آنيًّا:

– لكم ما تريدون د محمود.

[كان سبب اعتراضي على دعوة القائم بالأعمال في سفارتنا بماليزيا، كي أنأ بنفسي في هذه المرحلة عن الجانب الرسمي رغم أنه شخصية ظريفة من إخواننا الأكراد ، فلربما لن يستجيب لدعوة رئيس المؤسسة إلا بعد أخذ موافقة بغداد].

تشجعتُ حينها على البوح لرئيس المؤسسة بكل ما سبق وأن خطَّطت من المهام وما وضعت من الأفكار الكفيلة لتحقيق الهدف المنشود "إبرام اتفاقية تعاون مع المؤسسة في إعمار البنى العلمية والصناعية للعراق"، حيث كنت قد جزأتُ المهام إلى مراحل، وكنت حينها مخاطبًا نفسي: محمود سوف لن تجد أفضل من هذه الفرصة المناسبة لأخذ موافقة الشخص صاحب القرار الأعلى في المؤسسة.

استطردتُ مخاطبًا الحاج يحيى رئيس المؤسسة:

- أريد أن أكون أمام حضرتكم أكثر انفتاحًا ووضوحًا... الخطة التي وضعتها كالآتي: بعد الحصول على وثيقة التعاون الموقعة بيننا سوف أذهب إلى بلدي العراق وأقدِّم هذه الوثيقة إلى رئيس مجلس الوزراء (الحكومة العراقية)، مع مرفق رسالة تغطية بطلب الحصول على موافقة العراق الدفع بأسلوب المقايضة بالنفط الخام للتكاليف التي ستترتب جراء تقديم الخدمات من قِبل المؤسسة الحكومية الماليزية إلى المؤسسات العلمية والخدمية الحكومية في العراق، وأن حصولنا على وثيقة بالموافقة يعُتبر تحصيل حاصل.

مستطردًا بالكلام لرئيس المؤسسة، (الذي كان يبدو من نظراته وقسمات وجهه أنه مُصغٍ للحديث بدرجة عالية من الاهتمام):

- وكما تعلمون سيدي؛ أن حكومتي الدولتين العراق وماليزيا سبق لهما وأن أبرمتا برتوكولات واتفاقيات تعاون حكومية ملّزمة ولازالت تلك الاتفاقيات سارية، ومن بينها، اتفاقية في مجال التسويق النفطي بأسلوب المقايضة، وبهذا ستكون تغطية التكاليف إلى مؤسستكم الحكومية جراء تقديمها الخدمات إلى الجانب العراقي الحكومي أمرًا ممكنًا... كما أن من ضمن تلك الاتفاقيات مثلاً، حرية سفر مواطني البلدين من دون تأشيرة الدخول، وها أنا الآن بينكم في ماليزيا مستفيدًا من هذه الاتفاقيات...

واستطردتُ في حديثي:

- سيدي الحاج، إن الرؤيا لعملنا المشترك إن شاء الله، ستكون نجاحنا بتحقيق قفزة كبيرة فوق الكثير من المعوقات، والتي بدورها ستتيح لنا الانصراف والتركيز بإنجاز أعمالنا المحدّدة باختصاصاتنا المهنية. وسوف

تكون شركتنا : ٢ :. مستشارًا لمؤسستكم ؛ ٧ـ٧ في العراق ، وبذلك نقوم بتشكيل فريق عمل مشترك يجمع مختصيكم ومختصين من شركتنا مهمته اقتراح الحلول الناجعة للمعضلات الي تواجهها المؤسسات الحكومية العراقية – الطرف الآخر المستفيد الرئيسي في إقامة مشاريع التعاون المرتقبة.

أبدى السيد رئيس المؤسسة تحمسًا وقبولاً منقطع النظير بما تمَّ طرحه ، وأوعز إلى مدير مكتبه بالمباشرة بالخطوات الاجرائية الخاصة بتنظيم حفل برتوكولي مناسب لتوقيع مذكرة التعاون الحكومية مع شركة : ٢ :. واستطرد بحديثه:

– بعدها مباشرةً يتبعه اجتماع فني بينكم وبين المختصين في مؤسستنا لكي تضعوا سويًا دراسة علمية وفنية تجمع حزمة من الحلول للمشكلات والمعضلات الآنية التي يعاني منها أهلنا في العراق ، وتكون الدراسة مرفقة مع مذكرة التفاهم حين تقديمها إلى رئيس الوزراء في بلدكم لكي تكون حافزًا إيجابيًا... إنني متحمس ومندفع لتقديم ما يساعد أهلنا.

وهنا اختتم حديثه:

– وسنراكم قريبًا إن شاء الله في حفل التوقيع خلال الأيام القادمة.

وكما كان متوقعًا فقد تمَّ ترتيب كل شيء وبأفضل ما يمكن ونجح القائمون على تنظيم الحفل البروتوكولي بجعل مراسيم توقيع الاتفاق تليق بسمعة العراق كوطن وشعب، وتنسجم مع الاعتبار العالي الذي تحمله قلوب العلماء والتكنولوجيين والمهندسين في المؤسسة بوجه خاص والمجتمع الماليزي بوجهٍ عام. رغم أن الطرف الذي وقَّع الاتفاق من الجانب العراقي كانت شخصية تمثل ذاتها وإمكانيتها المتواضعة جدًا جدًا ، إلا أنها أصبحت بينهم كبيره بسبب حملها الصادق والمخلص للعنوان الكبير "حُب العراق".

(٥)

خاتمة القصة – الحصيلة والاستنتاجات – التقدم إلى الأمام

▪ الحصيلة:

١. وثيقة الاتفاق الحكومية "مذكرة التفاهم للشراكة والتعاون في نقل التكنولوجيا والمعرفة الفنية لبناء وإعمار البنى العلمية والتكنولوجية والصناعية".

٢. دراسة استشارية علمية (مرفق مع الوثيقة) مؤلفة من حزمة من الحلول الاستشارية – كمقترحات ، مع قائمة بعدد (٨٢) من العناوين لورش التدريب المهنية والخدمية ، والدورات العلمية والتكنولوجية القصيرة (الكورسات) تشمل الفنيين صعودًا إلى المهندسين والفنيين والإداريين والاستشاريين والأكاديميين العراقيين.

▪ الاستنتاجات:

الاتفاقية المُوقعة والموارد البشرية والطبيعية الكامنة في باطن الأرض جديرة بخلق النواة العظيمة للقدرة والجدارة –[illegible] اللازمة لتنفيذ أنشطة إعمار العراق وبناء مؤسساته العلمية والتقنية والصناعية، وكما في الآتي:

المورد الأول : تسخير القابليات العلمية والخبرات التكنولوجية التي تمتلكها المؤسسة الماليزية ؛ [illegible]، لخدمة الجهود الوطنية في إعمار العراق.

المورد الثاني : ضمان تغطية التكاليف المترتبة من عمليات الإعمار للبنى العلمية والتقنية والصناعية في العراق، بالاستفادة من اتفاقية التسويق النفطي الموقعة بين حكومتي البلدين والتي لازالت سارية.

المورد الثالث : مساهمة الكوادر العراقية بجميع مسمياتها ، من أكاديميين واستشاريين ومهندسين وفنيين وخدميين في إعمار العراق ، هذا بحد ذاته يمثل أحد الحلول المهمة لحل مشكلة البطالة التي كان ولا يزال يعاني منه العراق، خاصةً البطالة المعقدة (الأكاديميون وذوو الاختصاصات).

■ الخطوة اللاحقة - التقدم إلى الأمام

الفصل القادم من محطات ترحالي بدول المهجر ، سيكون بعنوان "القدوم إلى أمريكا – محطة كاليفورنيا والانغماس في رحاب العلم والأعمال"

حيث سأجيب عن السؤال الكبير : لماذا القرار بمغادرة عالمي العربي والإسلامي والترحال عبر البحار إلى كاليفورنيا ؟ ما الذي حصل ؟ وما هو مستقبل الإيجاد النوعي المهم المتحقق في كوالا لمبور وفي تلك الفترة الحرجة؟

هل كان ذلك هروبًا وفشلاً أو استسلامًا لأمر وقع؟

أو كان لا هذا ولا ذاك، بل كان قرارًا نوعيًا آخر بالسعي وتحدي المعوقات ومواصلة الاصرار بالتقدم إلى الأمام؟.

لعلّي أُوفق وأشارككم فصلاً جديدًا من تجاربي وخبراتي المتواضعة... في محطتنا القادمة...

الفصل الثالث

القدوم إلى أمريكا ، محطتي في كاليفورنيا

قصة البدء بمرحلة الانغماس في رحاب العلوم والأعمال

تمهيد

أودُّ أن الفت نظر القارئ الكريم إلى مجموعة من الحقائق والأفكار والمشاريع والبرامج والإيجادات المهمة التي حققتها على أرض الواقع في محطة كاليفورنيا ، تصاحبها مجموعة أخرى من الآراء والأفكار المُتضادة التي تعصف وتتصادم بذهني متزاحمة فيما بينها ، طارحةً مجموعة من الأسئلة ، حيث وجدتُ أن وضع الإجابات الدقيقة والصادقة إزاء تلك المجموعة من التساؤلات وما صاحبها من تحديات وإخفاقات ستولِّد جميعها المحتوى العلمي والمهني التطبيقي للأداء المهني الملموس على أرض الواقع والذي بدأته في شباط عام ٢٠١٠ في ولاية كاليفورنيا – العقل المفكِّر للولايات المتحدة الأمريكية ، والموطن الرائد والجامع لكل ما هو جديد في العلوم والفنون والآداب والطب والتكنولوجيا والهندسة والأعمال... محاولاً جعل السرد ممتعًا ومُحاكيًا للواقع قدر المستطاع.

أدناه مجموعتان من التساؤلات المُشار إليها:

لماذا أستعرض تفاصيل أعمالي والكثير من خصوصياتي؟ ما الذي يدفعني لذلك ونحن نتحدث في هذه المحطة المثيرة للجدل؟ والتي هي لدى البعض كاليفورنيا الفساد وصناعة الأفلام – هوليود ومدينة الملاهي وولد ديزني ، ولدى آخرين مراكز بحوث الفضاء ، ومراكز التحليل والمعرفة لجوهر قدرات الدماغ [illegible] ، ومنشأ عالم الإنترنت ، وموطن الإبداع والمنتجات الجديدة، كالسيارة التي تقودك ذاتيًا من دون سائق ولا مقوّد وبلا وقود تنقلك إلى حيث تشاء وأنت مسترخي في الكابينة.

أو هل أن التحدث عن الإيجاد النوعي المهم الذي حققته بهذه المحطة التي وصفتها بالمثيرة للجدل ، تعدُّ استعراضًا أمام الآخرين ؟ مستجديًا منهم إعجابهم ومديحهم ، كما الكم الكثير الذي نشهده في أدوات التواصل الاجتماعي؟!

وما هو الجديد الذي يمكن أن أضيفه لكي يشكِّل الإضافة المفيدة للقارئ الكريم في عالمنا العربي والإسلامي ؟ الذي يتسم بالكثرة والفيض من المقالات التنظيرية لمفكرينا وأساتذتنا! مع جُلِّ تقديري واحترامي لسعيهم بإغناء القاعدة المعلوماتية بالعلوم الصرفة وبمختلف اختصاصاتها!

أو أن الجديد الذي اطمح في تقديمه للقارئ الكريم هو نقل تجاربي في كيفية الحصول على الإيجادات الجديدة والنتائج النوعية الرصينة ؟ وكما جاء في تقييمها من قبل أصحاب الشأن المتخصصين ، والتحدث بشكل مركّز على الكيف! الذي تمَّ من خلاله تحقيق ذلك ؟ متوخيًا من خلال ذلك تعميم الفائدة للآخرين! وجعل مهمتي هدفًا محمودًا وشأنًا حميدًا ، وخصوصًا حينما يتم استعراض الأعمال والأنشطة والبرامج والمشاريع المتحققة بأسلوب التحليل النقدي الهادف.

وبقي لدي السؤال الأخير المهم والأكبر ، الذي كان معي وكنت معه ليل نهار:

لماذا القرار يا محمود بعزمك مغادرة عالمك العربي والإسلامي والترحال عبر البحار إلى الولايات المتحدة الأمريكية واختيارك كاليفورنيا ؟ في الوقت الذي كنت قادمًا من محطة كوالا لمبور ماليزيا! منتصرًا وغانمًا تلك الإيجادات الواعدة! ما الذي حصل يا ترى؟ وما الذي جرى لوثيقة التعاون والشراكة الحكومية الموقعة مع تلك المؤسسة الماليزية العملاقة المتخصصة

بالبحوث الصناعية والبنى العلمية؟ هل كان فشلاً واستسلامًا لأمر كان قد استجدَّ ووقع وجرى؟ والآن تريد أن تأخذ دورك في الطابور أمام أبواب اللجوء المفتوحة في سفارات ومنظمات الدول العظمى؟ تلك الأبواب التي هيَّأ لها وافتتح أبوابها نفس السادة الكبار خالقي ومُغذي الفوضى العارمة! [ولا عيبًا أو نقدًا للذين اضطروا لذلك إطلاقًا، ومنهم قسم من أفراد عائلتي، لأن المسبِّبات واضحة وجلية]...

أم كان قرارك يا محمود لا هذا ولا ذاك! بل كان قرارًا نوعيًا شجاعًا آخر، تسعى من خلاله إلى تحدي المعوقات بعد اشتداد الصراعات الطائفية والاثنية بعيد عام (٢٠٠٨)، وكان قرارًا لمواصلة الإصرار، ناشدًا التقدم إلى الأمام متوكلاً على الله القدير...

وبعد هذا التمهيد ابتدأ قصتي مشاركًا حضراتكم الكرام في الإجابة على جميع تلك التساؤلات، والتجوال معكم برحاب العلوم والتكنولوجيا والأعمال في كاليفورنيا، مستأنسًا ومنتفعًا ونافعًا إن شاء الله.

(١)

قدومي إلى أمريكا سواء كان هروبًا من واقع معين أو كان قرارًا نحو الأفضل، فهو في كلا الحالتين يمثل تحديًا وإصرارًا جديدًا للتقدم إلى الأمام، جاعلاً تداعيات الفوضى العارمة والإحباطات مادة ووقودًا يغذيان الزخم بمواصلة السير نحو تحقيق الغايات والأهداف المنشودة...

كان في عام ٢٠٠٨ حينما اخترتُ بدقة مكتب الخطوط الجوية البحرانية "طيران الخليج" الحكومية التي ستنقلني ومعي زوجتي في رحلة العودة غانمًا الإيجاد والحصيلة المهمة في محطتي بكوالا لمبور ماليزيا. كان لخط الرحلة محطة وقوف وانتظار حوالي ٣٠ ساعة في المنامة عاصمة البحرين، ومنها ننتقل بطائرة أخرى إلى عمَّان – الأردن؛ وجهتي ونهاية خط الرحلة، وكان حينها أفضل ما يمكن الحصول على هذا الخط للرحلة المُتعبة...

قمتُ بحجز فندق الترانزيت القريب للمطار في محطة الانتظار – المنامة، وكون الفندق لمسافري الترانزيت لكنه يقع خارج حدود المطار ببضع كيلومترات ، ويتطلب فيزا لدخول الأراضي البحرانية. وبمساعدة أحد معارفي، وهو رجل أعمال معروف بالبحرين، تمَّ إيجاد حل لهذا الإشكال المهم، وكان بالتنسيق مع مدير الخطوط في مكتب الشركة بالعاصمة كوالا لمبور، وذلك بسبب حالتي الصحية التي تستدعي احتياجي لغرفة ومنام لعدم تمكني من الانتظار في صالة الترانزيت ٣٠ ساعة وخاصة بعد ساعات طيران عديدة.

أخبرني مدير المكتب بموافقته استصدار بطاقة الرحلة من ضمنها أجور حجز غرفة في فندق الترانزيت...

- شكرًا أستاذنا...

مخاطبًا مدير مكتب خطوط الخليج بكوالا لمبور، الذي خرج من مكتبه واقفًا بجوار موظفة حجز التذاكر، وكان مهتمًا اهتمامًا ملحوظًا بنا متمنيًا لنا سفرًا مريحًا... وسألني عن علاقتي بالشخص البحريني الذي اتصل به وسهل الأمر بحجز الغرفة... أخبرته بالإجابة المناسبة حينها.

في هذا الأثناء قمت بتصفح أوراق جوازات سفرنا العراقية مع بطاقة الحجز، فلم ألحظ أي تأشيرة فيزا!... بادرته:

- أستاذي لا توجد فيزا.

أجاب بسرعة ودراية:

- حجزنا لك الغرفة، وتزويدك بأوراق الحجز والإيصال يعتبر مقام الفيزا، فنحن خطوط رسمية مملوكة للحكومة البحرينية، والفندق حكومي، فتوكل، وأرجو أن تنقل تحياتي إلى فلان (رجل الأعمال البحريني).

ابتسمتُ شاكرًا إياه ومدمدمًا مع نفسي: بهذه السرعة بدأ أشقاؤنا يعاملوننا بما ينبغي التعامل به بين الأشقاء، أو أسوة بالزبائن الآخرين غير العراقيين! حامدًا الله عز وجل مرددًا: لقد تمَّ عودة الثقة بجواز سفرنا العراقي، إنها بشرى تعزز المغانم التي اكتسبتها في سفرتي الميمونة!

كنتً أتحدث بذلك مع أم مظفر، حيث كانت وكعادتها تقرأ الآيات القرآنية، وخصوصًا عندما نقف بطوابير الانتظار حين دخول الحدود أو الخروج منها في مشاوير ترحالنا بدول المهجر.

كان برنامج رحلتي أن أبقى في عمَّان لفترة، قبل مواصلة الرحلة إلى بغداد، حيث المخطط أن أجري اللقاء مع السيدة سارة هلدرزلي المستشار الاقتصادي في السفارة البريطانية في عمان وبغداد، وكان على ضوء تحديد الموعد الذي تمَّ بالتنسيق المُسبق معها بُعيد توقيع الاتفاق مع المؤسسة الماليزية [٧-٧]. وكان الغرض حينها الحصول على رسالة من مكتب المستشار الاقتصادي (السيدة سارة) تؤكد رغبة واستعداد الشركات البريطانية المساهمة في إعادة إعمار البنى العلمية والصناعية ضمن أُطر مذكرة التعاون الموقعة بين الدكتور محمود المظفر والمؤسسة الماليزية [٧-٧]. وبتوفير رسالة الاستعداد في المساهمة من قِبل السفارة البريطانية أكون قد استكملت رزمة وثائق مشروع التعاون المبرم مع الجانب الماليزي متضمناً جميع ما يلزم لعرضها على صاحب القرار الأعلى – رئيس الوزراء العراقي – الهدف الذي كنت أسعى إليه "إعمار العراق" وكما تمَّ الإشارة إليه في الفصل الثاني من فصول ترحالي في دول المهجر.

بدأ الطيار الاقتراب نحو أرضية الهبوط بالمنامة المعروفة بعماراتها الشاهقة وأراضيها الجرداء ، مقارنه بغابات ماليزيا الكثيفة بأشجارها الخضراء وزرقة مياه بحارها... كان الوقت بداية العصر، وكنا في الطابور منتظرين بصبر السماح لنا بالخروج إلى موقف انتظار الباصات المتهيئة لنقل المسافرين إلى الفندق الترانزيت لقضاء ليلة أو جزء من الليل لأخذ الطائرة الأخرى التي تقلهم إلى وجهاتهم الأخرى. الحمد لله وصل دوري، كل شيء قد تمَّ تهيئته: جوازات السفر، بطاقة حجز الغرفة وخط الرحلة الآخر من البحرين إلى عمَّان... قدمتها لعنصر الأمن/ الجمارك... أخذ الجوازات :

عراقي! دمدم بصوت مسموع... لم أجب على ما سمعت لأنه لم يكن يطرح سؤالاً!

- أين الفيزا؟ توجه بسؤاله...

- حجز الغرفة من مكتبكم طيران الخليج هذا أمامكم... كانت إجابتي كأسلوب سؤاله المباشر.

أرجَع لي الجوازات والحجز:

- اذهب إلى تلك الغرفة أمامنا مكتب طيران الخليج، هنا أحتاج فيزا وليس حجز غرفة!

بادرته بإجابة هادئة ناقلاً نص ما أخبرني به مدير مكتب طيران الخليج في العاصمة كوالا لمبور... لم يفهم، و حتى لم يصغي لحديثي... كان حينها ارتباك وقلق أم مظفر يتصاعد، وأعتقد أنها أكملت كل السور القرآنية القصيرة مع المستحبات، نادت بصوتها المسموع له ولي، موّجهة الحديث لي: محمود انتبه لصحتك خوفي يتزايد على صحتك.

- شكرًا أستاذ، سنذهب وكما طلبت.

خرجتُ من الطابور غاضبًا، كان ارتباك أم مظفر قد أقلقني جدًا، ووجدته مخرجًا لي من موقف لا أُحسد عليه! جلسنا على جانب... أخذتُ جرعات من بخاخ لعلاج آني لضيق بالتنفس... توجهتُ بعدها إلى مكتب المسؤول الأعلى لأمن المطار... كان المساء قد حلَّ... بادرني القول:

- هل تعرف رجل الأعمال البحريني جيدًا؟

- طبعًا، ولي فضلٌ مسجلٌ عليه... تفضل اقرأ نص رسالته لي [كنتُ قد استنسخت مسبقًا نص رسالة من المراسلات الإلكترونية بيني وبين رجل

الأعمال البحريني كاحتراز يمكن أن أرجع إليه]... كان قسمٌ من النص (...لقد أجريتُ اللازم د. محمود، تتشرف البحرين بقدومكم وأن تحلّوا في أراضيها ضيفًا عزيزًا... إلى أخر الرسالة)

قرأ المدير النص... ثم قال:

- اتصل به هاتفيًا لكي يتصل بنا على هذا الهاتف الأرضي تحديدًا، وسوف أسمح لكم بالتوجه إلى الفندق.

قاطعته:

- عشرات المرات كنت أتصل على هاتفه الجوال وهو مغلق، وكذلك مجموعة هواتف الشركة لا إجابة لانتهاء الدوام...
- التعليمات لدينا بعدم دخول العراقيين البتة إلا بفيزا... ومساعدةً مني ولظروفك سأقبل حين اتصاله هاتفيًا... ولذلك سأقترح عليك الذهاب إلى الطابق الأول حيث ستجد نادي استراحة المسافرين بالدرجة الأولى المجاورة لقاعة الشرف، تجد جهاز كومبيوتر لإرسال إيميل وأنا متأكد أنه سيقوم بالواجب.
- فهمت الآن تمامًا... مدمدمًا مع نفسي: ولكن يا أشقاءنا الكرام لا تعليق لدي إلا أن شرَّ البلية ما يُضحك!.

خرجتُ وأنا بأعلى درجات الغضب وعدم الرضا والجزع، كان إصراري أن أصل إلى رجل الأعمال هذا، لعلي ألقنه درسًا لا ينساه، لأنه رغم اعتراضي على مقترحه بأن حجز الغرفة كافٍ وبتأييد من مدير مكتب طيران الخليج، إلا أنني كنت أؤكد عليه أن العراقيين غير مشمولين بهذا.

واصلتُ سيري وأنا لا أرى أي شيء من حولي إلا الموقف الذي حصل لي.

دخلتُ إلى نادي الدرجة الأولى متوجهًا مباشرةً من دون تحية أو استئذان نحو مجموعة مصطفة أمامي من الحاسبات... جاءت موظفة الاستقبال وأم مظفر معها... قبل أن تتكلم بادرتُها:

- رجاءً فقط افتحي الجهاز لكي أرسل رسالة.

قالت بهدوء وبابتسامة محاولة تهدئة الجو:

- أعتقد أنك تريد الاتصال بصاحبك البحريني لكي يتصل بالمطار حتى تذهب إلى غرفتك في الفندق... لقد علمتُ هذا من خلال حديثكم مع مدير الأمن لأنني وزميلتي كنا نراقب بفضول ما كان يحدث متأسيين عليكم أنتم العراقيون!.

كان الحديث بالإنجليزية... وجهت سؤالي إلى تلك الفتاة الفاتنة:

- وكيف علمتِ كل ذلك؟

- بمساعدة زميلتي. رجاءً اسمعوا مقترحي -موجّهة الحديث لي وزوجتي-: أنتم ضيوفي هذه الليلة في هذا النادي لمسافري الدرجة الأولى، أنا المدير المسؤول الأول عنه، والوسائل المتوفرة هنا أفضل بدرجات مما ستجدونها في غرفتكم بالفندق ، توجد القنفات المصممة حتى للمنام والشراشف والأغطية، توجد الحمامات للاستحمام والمناشف وأماكن تغيير الملابس، ويوجد بوفيه مفتوح على مدار الساعة لمختلف أنواع الأطعمة والمشروبات، بالإضافة إلى المجلات والجرائد...

- شكرًا لكرم أخلاقك وشجاعتك وذوقك... قولي لي يا جميلة: من أي بلد أنتِ؟

ضحكت:

- أنا من بولندا.

- ولكن هذه مسؤولية كبيرة تقع عليكِ؟
- أنا المسؤول الأول هنا، - كان ردها سريعًا - ونحن جهة أخرى غير تابعين لإدارة المطار، وما عرضتُه عليكم هو جزء من صلاحياتي.
- لماذا نحن إذن؟
- وجدت من واجبي كإنسانة ان أقف معكم لأنكم أصحاب حق! لصدور بطاقة حجز فندق ترانزيت مع بطاقة الطائرة، فالطائرة والفندق والخطوط كلها مملوكة لجهة واحدة هي الحكومة البحرانية...

وتوجهتْ مقتربة إلى أم مظفر ساحبه بيدها، وأنا هذه المرة أسير متابعًا خطواتهما ومذهولاً من روعة الموقف والملاك الذي أكرمنا به الله عز وجل ليخرجنا من نيران العصبية التي حلَّت بي وبزوجتي... مستمتعين بكل ما كان متوفرًا من وسائل الراحة الفارهة!.

في ساعة متأخرة من الليل كنا نائمين؛ شعرت بأصوات قريبة منا، وإذا بتلك الملاك ومعها زميلتها تتحدثان بشأننا، وجهتُ حديثي إليها:

- لربما يجب أن نغادر المكان، أو شيء آخر؟
- أعتذر، كنتُ أوصي زميلتي التي ستكمل العمل من بعدي بأنكم ضيوفي الشخصيين، وحتى طلبت منها أن تؤكد حجز طائرتكم لخط الرحلة القادمة إلى عمان من خلال حاسبة النادي لكي تذهبوا مباشرة للطائرة، فغدًا سيكون عيد ميلادي، وسأكون في أجازة.

هنا تدخلت زاهرة بكلامها الهادئ:

- نريد منكِ يا اديتا - [illegible] (اسم الملاك) أن تكملي فضلك علينا ، ونشاركك عيد ميلادك من خلال هدية رمزية متواضعة نسجِّل من خلالها رمزية حضورنا معك واحتفالنا بكِ.

همَّت على أم مظفر وأخذتها بالأحضان... وقد استبشرتُ منتظرًا دوري متهيئًا لكي تأخذني أنا أيضًا بالأحضان!!! لكنها توجهت وهي في تأثر من وقع كلام أم مظفر مرددة:

- شكرًا لكم لقبولكم دعوتي.

(٢)

بعد إكمال وجبة الإفطار من تلك المأكولات المنوَّعة المعروضة بترتيب رائع بالبوفيه المفتوح بفضاء نادي المسافرين بالدرجة الأولى ، أخذتُ قهوتي متوجهًا إلى الجانب المخصص للمطالعة والاسترخاء ، مستريحًا على مقعدٍ وفير محاولاً استرجاع تقييمي للواقع الفوضوي الذي حلَّ بوطني العراق ، والذي وصلت آثاره السلبية بعيدًا خارج حدوده، وما حصل لنا الليلة السابقة مؤشر واضح يستدعي تحليل الواقع وإعادة تقييمه بفكر إيجابي وعقل مفتوح محللاً ومستقرئًا تفاصيل ما حصل بنظرة تحليلية معمقه ، هادفًا الخروج بتفكيري من طور التفكير السلبي المتسم باللوم لما حصل – [illegible] – سواء كان اللوم على نفسي أو كان اللوم والتشكي على الآخرين ، وأن أنتقل إلى طور التفكير الإيجابي المتسم بالتحليل واستقراء الدلالات ومدى تأثيرها على الهدف الكبير – إعمار البنى العلمية والصناعية في العراق ومشروع التعاون مع مؤسسة البحوث الماليزية، وإيجاد الحلول الممكنة[١]...

فكان القرار:

أولاً: التريث بخطة تطبيق مشروع التعاون مع المؤسسة الماليزية ، وإعادة النظر بخارطة الطريق الخاصة بتنفيذ فقراته، التي لأجلها كان قد تمَّ ترتيب

١– تجدون في الجزء الثاني من الكتاب تفاصيل علمية لعلماء ومفكرين وجراحين أطباء باحثين في الدماغ وخبراء بعلوم أطوار التفكير المعرفي ، مُسندة بالنتائج المختبرية والإحصائية لتغير طور التفكر للعقل البشري من سلبي يتسم باللوم والتشكي إلى التفكير الإيجابي المتسم بتقديم الحلول. وقد خصَّصتُ فصلاً خاصًا لمشروع معرفي متكامل بتعليم العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات STEM. والجدير بالذكر فهذا المشروع التعليمي المعاصر كان من بين أهم الدوافع لتأليف كتابي المتواضع الذي بين أياديكم.

هذه الرحلة إلى عمان ومن ثم بغداد لغرض تقديم وثائق المشروع إلى رئيس الوزراء، وذلك حفاظًا على جوهر الإيجادات.

ثانيًا : وهو القرار الأهم : المباشرة بالبحث عن الحلول التي تعالج جوهر المشكلة المتسببة بانعدام مفهوم المنطق في عقول أصحاب المسؤولية ، والعبث بالمفاصل المجتمعية والعرقية المترابطة منذ آلاف السنين ، مما أدَّى إلى التردي في أداء المؤسسات الخدمية والاقتصادية والسياسية والصحية ، الخ ، مما يؤشر إلى انهيار البنى الفكرية ، ولا أريد أن أدخل بالتفاصيل كونه خارج اختصاصي ، إلا أن الدالة المهمة التي سبق وأن تمَّ استقرائها ، أن الكبار من منظّري خلق الفوضى العارمة في مجتمعاتنا ، المُشار إليها بالفصل الثاني ، بدأوا بجني ثمار ما زرعوه في مجتمعاتنا وكسب مغانمهم وبمعدلات متسارعة.

ولتحقيق مهمة البحث عن الحلول المشار إليها أعلاه ، فقد اهتديت إلى إقامة المشروع البديل المكمّل للمشروع الحالي – الذي كان التعاون مع المؤسسة الماليزية ، والذي أصبح بحكم المؤجل إلى حين وليس ملغيًا.

لقد وضعت مكونات المشروع الجديد (أسميته مشروعي بالموطن الجديد):

– الهدف : امتلاك مفاتيح الحلول العملية الناجعة المجرّبة والمشهود لها عالميًا التي تساهم بحماية وتطوير البنى الفكرية والعلمية والصناعية للعراق والمنطقة والنهوض بمستويات منظوماتنا المعرفية التقليدية الراهنة.

– المهام : البحث الميداني عمَّا هو متوفر بالدول المتقدمة من التجارب والحلول المطبّقة عمليًا وذات العلاقة ، وبالأخص تلك الدول التي لم تشملها

تداعيات الفوضى، والعمل على نقلها نقلاً مهنيًا متكاملاً[١] وتطويعها لتنسجم مع واقع دولنا العربية والإسلامية.

- مصادر تمويل المشروع: مؤلفة من مصدرين:

الأول: مصادر ذاتية، وهي ما تبقى لصاحب المشروع [المؤلف] من أموال تساعده في سد احتياجاته اليومية...

والمصدر الثاني: التأهيل العلمي والملكية الفكرية [إن تبقى بالعقل والفكر منها شيء يمكن المقايضة به!].

وكانت الحدود التي ضمنتها خطة التنفيذ هي التقيد بالهدف والمهام وكما وردت أعلاه، واستثمار جميع الفرص المتاحة للاستفادة منها خلال البحث وإيجاد المطلوب، متوكلاً على الله العلي القدير... ومن بين هذه الفرص، استثمار اجتماعي المرتقب في عمان مع السيدة سارة هلدرزلي - [illegible] ٦، مدير قسم التجارة والاستثمار للعراق والأردن في السفارة البريطانية في عمان لغرض الحصول على الإقامة في بلدهم بريطانيا (استنادًا إلى برنامج الملكية الفكرية لذوي الشهادات العُليا) بدلاً مما كان مخططًا له سابقًا بالحصول على رسالة التأييد بالمشاركة بإعمار العراق مع الجانب الماليزي.

استكملتُ تدوين مكونات مشروعي الجديد، على الصفحة المؤطرة بإطار جميل يحمل اسم النادي لمسافري الدرجة الأولى تناولتها من دفتر ملاحظات

١- المقصود بالنقل المهني المتكامل، النقل التكنولوجي الصحيح الذي يشمل مفاتيح الحلول، وليس السائد في بلداننا الذي يقتصر على نقل الفقرات التجهيزية التجارية ويستثني المعرفة الفنية – Know how، وسيتم التطرق للمفهوم بعنوانه المهني الدقيق بشيء من التفصيل.

على الطاولة أمامي، ورفقتها في أول صفحات وثائق المشروع الذي أصبح بحكم المؤجل "التعاون مع الشركة الماليزية"...

وعندها نهضت من مقعدي الوفير اتخطى واستمتع بالفخامة التي تحيطني، متأملاً وراسمًا صور الأمل الجديد! منتظرًا زوجتي أم مظفر لكي تجلب هدية عيد الميلاد من الأسواق الحرة في المطار لتقديمها لملاكنا عن طريق زميلتها التي سترتِّب لنا حجز المقاعد لرحلتنا القادمة إلى عمان.

(٣)

مشروعي بالموطن الجديد "تأسيس الكيان القانوني والمهني الذي يمتلك الإمكانات للتعامل مع متطلبات ومعطيات البنى الفكرية والعلمية والصناعية والتأثير عليها وتطويرها".

وقد كان لي ذلك وبتوفيق من الله.

وربما يطرح القارئ الكريم مجموعة من التساؤلات، أهمها: وصف ذلك المشروع بالموطن الجديد؟ وكيف تمَّ إنجازه؟ وما هو التحصيل؟

أود أن أبدأ بإجابة السؤال الأخير: ما هو التحصيل؟...

لقد أوجزتُ التحصيل بحزمة مؤلفة من خمسة مشاريع تقع ضمن نشاطين من الأنشطة المعرفية، وهما: النشاط التأسيسي، ويتضمن مشروعين... والنشاط التنموي وبناء القدرات المهنية، ويتضمن ثلاثة مشاريع.

وكل مشروع يمثِّل كيانًا مهنيًا قائمًا بحد ذاته، ومترابطًا مع المشاريع الأخرى ومكملاً له. والمشاريع الخمسة مجتمعة تؤسِّس لجوهر القدرة والجدارة (ا[ ]ا[ ]ا[ ]ا[ ]ا[ ]) الكفيلة بتحقيق رؤية المشروع بالموطن الجديد. وأن الحصيلة المشار إليها تُعدُّ مجمل الأداء المهني في محطات ترحالي بدول المهجر التي بدأت سرد أحداثه من عام ٦٧/١٩٦٦ "مرحلة البداية – قصتي مع عالم الموسيقى الكلاسيكية"، الطالب بالصف الثاني كلية الهندسة في جامعة بغداد، وحتى عام ٢٠١٩ المهاجر المقيم في كاليفورنيا.

سأبدأ بالإضاءات حول المشاريع التأسيسية ، ومن ثم المشاريع التنموية والبرامج التعليمية للعلوم ، تليها شهادات التقييم الممنوحة من المؤسسات العالمية المتخصصة ومن الخبراء ورجال الأعمال...

المشروع الأول (النشاط التأسيسي) : MK Global Hardware LLC

وحصيلته انشاء المؤسسة الأم ، (ام. كي. العالمية ذ. م. م.) شركة مُسجلة في كاليفورنيا ، بالغايات التكنولوجية والهندسية والتجارية.

– الهدف : امتلاك القدرات والتقنيات التكنولوجية لتقديم الأفضل وتعزيز القوة التنافسية في الأسواق الأمريكية والعالمية ، الجديرة بتلبية متطلبات الإعمار والإسكان الملائم لأفراد العائلة والمجتمع بشكل عام.

– المهام : تأسيس القاعدة القانونية (المظلة) ، والمهنية (رخص ممارسة الأعمال) لغرض تمكين الشركة الأم (ام. كي.) من ممارسة الأنشطة والفعاليات المدرجة في خطة العمل الكفيلة بتحقيق الرؤية التي تبنتها على أرض الواقع.

والشركة (ام. كي.) عضو فاعل في المؤسسة التعاونية آيس هارد وير الأمريكية المعروفة [ ] , [ ] [illegible] ، [1] ، وتمتلك الشركة العضوية في المؤسسة التعاونية كمساهم بسهم واحد ، ومتجر واحد مؤلف من مقر ومخزن ومعرض. ويحق للأعضاء المساهمين في المؤسسة التعاونية امتلاك عدد من المتاجر ولكن بسهم واحد فقط ، أي له حق التصويت بصوت واحد أسوة بالأعضاء الآخرين لانتخاب أعضاء مجلس المدراء.

---

١ – www.acehardware.com.

لقد وجدتُ في المؤسسة التعاونية آيس هارد ورد، المذكور أعلاه، نموذجًا يستحق التأمل بتحقيق العدالة الاجتماعية للمستثمرين، فبالقدر الذي يتم السماح للمستثمر بامتلاك عدد غير محدّد من المتاجر فإن امتلاكه لحق التصويت يبقى صوتًا واحدًا فقط. وبهذا فالمستثمر الذي يمتلك متجرًا وصوتًا واحدًا يتساوى في حقه بالتصويت مع المستثمر الآخر الذي يمتلك سلسلة من المحلات حين انتخاب أعضاء مجلس الإدارة المسؤول على صياغة سياسة المؤسسة التعاونية، وبهذا يتحقق مبدأ العدالة وحماية المستثمرين الصغار من هيمنة رؤوس الأموال التي يمتلكها الكبار.

ويبلغ العدد الإجمالي للمتاجر المساهمة في المؤسسة التعاونية (٥٠٠٠) متجر موّزعة في الولايات الأمريكية وفي (٦٠) دولة حول العالم، بالإضافة إلى (١٧) مركز إسناد لوجستي بمساحة إجمالية (مليون متر مربع)، لغرض تقديم الخدمات الخاصة بالعمليات التجارية وتوزيع البضائع وإيصالها إلى المتاجر التابعة للمؤسسة التعاونية. وقد بلغ المجموع الإجمالي للمبيعات السنوية في نهاية عام ٢٠١٦ لجميع المتاجر والمؤسسات الاستثمارية المملوكة للمؤسسة آس التعاونية حوالي (٥,٠٤٥) مليار دولار.

المشروع الثاني (النشاط التأسيسي) انشاء المتجر (كاردن كروف - آيس هاردوير - Garden Grove Ace Hardware)

(المتجر- آيس ج. ج.) شركة ذ. م. م. مسجلة في كاليفورنيا، تابع للشركة الأم (ام. كي.) تنحصر مهامه بتجهيز وتنصيب العدد والأدوات المعدات والبرامج والمنظومات الحديثة لتلبية احتياجات السكن العائلي الحديث – كالبرامج الخاصة بمشاريع الطاقة المتجددة وحماية البيئة، ومنظومات التبريد والتدفئة ، ومنظومات السيطرة والحماية الإلكترونية وإطفاء الحريق. ويمارس (المتجر ج. ج.) أعماله في الوقت الحاضر داخل الأسواق الأمريكية. يعمل به (١١) موظف، وبمساحة (٧٤٠ م مربع).

المشروع الثالث (النشاط التنموي) - المكتب الاستشاري
Lean Transformation Consultancy (LTC)

المكتب شركة ذ. م. م. مسجلة في كاليفورنيا، تابع للشركة الأم (أم كي)، يقدّم المكتب خدماته الاستشارية إلى الزبائن لغرض النهوض بكفاءة الأداء وزيادة الأرباح لمؤسساتهم، والزبائن من المؤسسات التجارية والصناعية والطبية والخدمية والتعليمية. يقوم المكتب لغرض تقديم خدماته الاستشارية بعدد من المهام، أهمها دراسة واقع عمل مؤسسة الزبون، وإجراء التحليل، والتشخيص، وبعدها اختيار الحلول اللازمة وتطبيقها على الأعمال الجارية في مؤسسة الزبون وتطويرها وإدامتها، وبمشاركة العاملين في المؤسسة ليتسنى تدريبهم على أساليب العمل الجديدة خطوة بخطوة.

ويتسم عمل المكتب الاستشاري بتقديم خدماته لمؤسسة الزبون بالنهج الشمولي ([illegible]) لعمليات التغيير والتطوير التي تشمل جميع الأعمال التي تمارسها المؤسسة. حيث يتم تناول العمليات: الأدائية، الإدارية، المالية، والتسويقية لدى المؤسسات المستفيدة (الزبائن).

ويدعى هذا الأسلوب بتقديم الخدمات الاستشارية للزبائن "طريقة مكنزي"[1].

وتشمل خدمات المكتب الاستشاري: تدريب العاملين بالأساليب والتقنيات الحديثة في إدارة العمليات والقيادة والسيطرة الكفيلة بتحويل العمليات الأدائية في مؤسسة المستفيدة (الزبون) من التقليدية السائدة إلى المعاصرة. وأن الهدف المتوخى النهوض بكفاءة الأداء ورفع القدرات التنافسية وإدامة زخم التطوير، ويطلق عليها ([illegible]).

١- الشركة الاستشارية مكنزي الشهيرة بتقديم الخدمات الاستشارية، تعدّ الأهم والأعلى والأجدر في العالم في مجال إدارة وتطوير الأعمال.

إن نتائج خدمات المكتب الاستشاري على مؤسسة الزبون يمكن تقديرها، من خلال مقارنة مقدار الفرق الحاصل بمستوى سرعة وكفاءة الأداء، بين العمليات التجارية التقليدية التي كانت تجري سابقًا بمكاتب الصيرفة بسبعينيات القرن المنصرم، ومقارنتها بنظيراته من العمليات الجارية في البنوك العالمية بوقتنا الحاضر.

وقد وقَّع المكتب حديثًا عقدًا بتقديم الخدمات الاستشارية لصالح مجموعة محلات هاوس مارت [1] البالغة ٣٣ متجرًا بالإضافة إلى الإدارة العامة والإدارات الفرعية للمجموعة، والمشروع حاليًا في طور التنفيذ.

١- www.housmart.com

المشروع الرابع البرنامج التعليمي (النشاط التنموي): "أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم الأساسية (جي ستيم)" " Global Innovation & STEM Learning Academy (G STEM)"

البرنامج يتألف من محورين:

- المحور الأول: تشجيع واحتضان الأفكار الجديدة والابتكارات.

- المحور الثاني: يتبنى أسلوب التعلّم التطبيقي (التعليم بطريقة التجريب) للطلبة والمعلمين والمدرسين بمواد العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات تُعرف - ؛ ٣ (الأحرف الأولى بأسماء المواضيع باللغة الإنجليزية)

فكرة برنامج الأكاديمية :

١. الاستراتيجية : أن يؤسس القاعدة المعرفية بتعلّم وتعليم العلوم، من خلال الآتي:

- توفير الوسائل والمهارات الفعالة التي تلبي حاجة المعلمين والمدرسين باستيعاب المحتويات الخاصة بالعلوم الأساسية - ؛ ٣ (العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات) ونقلها إلى طُلابهم بالأساليب التعليمية المعاصرة.

- تقديم الخدمات الاستشارية في مجال تهيئة الورش التدريبية والدورات المركّزة القصيرة والمتوسطة الأمد إلى القيادات التعليمية، لغرض تطوير الطرق التعليمية والمحتويات الخاصة بالعلوم الأساسية.

٢. المهام : تأسيس أكاديمية تعليم وتدريس العلوم الأساسية - ؛ ٣ والابتكارات ، من خلال مشروع متكامل ، تسليم المفتاح - [illegible]

[illegible] ، يؤمن النقل التكنولوجي الشامل بالتعاون بين مؤسسة / مؤسسات جامعية ومديرية تعليمية محلية ونظيراتها الأمريكية المتخصصة بتعليم العلوم الأساسية – [illegible]

٣. الحصيلة : اكتساب المهارات اللازمة لتأهيل الشباب للانخراط بالقوى العاملة المستوفية للمتطلبات القرن ال ٢١ بالإضافة إلى إعداد الطلاب للبحوث التطبيقية والتعليم العالي، فضلاً عن مساعدتهم بتبني أسلوب التفكير النقدي والابتكاري في حل المشكلات ، والعمل الجماعي المنتج ، ابتكار الأفكار الجديدة، والقابلية لصُنع القرار.

المشروع الخامس إنشاء مدينة العراق للعلوم والتكنولوجيا (النشاط التنموي)

Business and Technology Parks - Soft Landing Zone (SLZ)

مجمع العراق للأعمال والتكنولوجيا... مركز أعمال المستقبل والمهبط الآمن لعمل الشركات الأجنبية (المجمع).

فكرة مشروع (المجمع) – المشروع استراتيجي استثماري، يتبني مبدأ العمل بالشراكة في التمويل والإدارة والتنفيذ بين المؤسسات الحكومية ، القطاع الخاص، الشركات الاستثمارية، الجامعات، ومراكز البحث والتطوير المحلية والعالمية.

– الغاية :

١. جذب واستيعاب المؤسسات العلمية والتكنولوجية والهندسية ، والشركات التي تتبني التقنيات الحديثة لغرض إقامة المشاريع الإنمائية في حقول الطاقة والصحة والمشاريع الهندسية والخدمية ، وتشمل مختبرات تطوير الطاقة المتجددة ، ومحطات الفحص والتقييم الحديثة ، والورش الخاصة بتقنيات الإرواء والمكننة الزراعية، وتكنولوجيا أنظمة الأمن والحماية والاتصالات.

٢.إسكان وتوفير الخدمات اللوجستية والمهنية وخلق البيئة المجتمعية والعلمية المناسبة لعمل المؤسسات القاطنة بالمجمع ولسكن عوائلهم.

– الهدف :

إعادة الإعمار برؤى وبرامج ومهام تنفيذية مشتركة بين النُخب العلمية والتكنولوجية المحلية والعالمية – القائمين على المجمع – ووضع الخطط المشتركة بتبني التقنيات والمهارات المعاصرة، من خلال الاستثمار الأفضل للقدرات والخبرات المحلية.

التقييم و الشهادات

إن ما ورد من إضاءات حول المشاريع الخمسة أعلاه، وما سأورد في أدناه من التقييم والشهادات ، غايتها الأساسية تعريف وكسب ثقة القارئ الكريم بالمستوى المهني الرصين المتحقق وبجدوى الدروس المستنبطة والمهارات المستخدمة. لعل الذوات الأكاديميين والمستثمرين وأصحاب القرار النظر بالاستفادة منها، وليست الغاية استعراض لمؤهلات المؤلف.

- أولاً : التقييم

مُنح (المتجر ج. ج.) شهادة مستوى القمة – [illegible] , في الأداء لثلاث سنوات متتالية ٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧. وشهادة البلاتين لعام ٢٠١٤.

تجدر الإشارة إلى أن حصول المحل على شهادة القمة ثلاث مرات متتالية يصبح رسميًا من بين جماعة محلات النخبة. وأن شهادة أداء القمة –

"[illegible]"، بتجارة التجزئة في عالم الأعمال، يمكن الحصول عليهما بعد النجاح باجتياز (١٨) مقياس ومعيار مهني تتمحور حول نسبة الزيادة الحاصلة بتطور الأداء للمتجر، كفاءة ومهنية العاملين، جودة البضائع وتنوعها، الانسيابية، رأي الزبائن بمستوى الخدمات وسياسة المتجر في حال طلب الزبون إرجاع أو تبديل السلعة، والضمان... الخ، ومعدل عدد المتاجر التي حصلت على مستوى القمة لعام ٢٠١٧ تراوحت (٤٥٠) متجر من العدد الإجمالي (٥٠٠٠) عدد المتاجر المتنافسة التابع للمؤسسة التعاونية ايس هارد وير.

ثانيًا : آراء وإشادات الخبراء ورجال الأعمال

سأكتفي بشهادتين من الرئيس التنفيذي الأعلى لمؤسسة آيس هارد وير التعاونية السيد جون فانهاوزن، وشهادة ثالثة من السناتور في مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية كاليفورنيا السيدة جانيت نكوين.

• **الشهادة الأولى للرئيس التنفيذي:**

"... شكرًا محمود وشكرًا كريم للتقرير الباهر، تواضعكم وأدائكم المتميز وقيادتكم لفريق العمل ينتج تلك النتائج العظيمة. تهانينا لقوة ومتانة الأداء في محلكم الحديث بدخوله لعالم الأعمال. "كريم" نبارك قدرتكم الاستثنائية في تقديم الطريقة الحديثة بإدارة عمليات البيع والقيادة والسيطرة في المحل وفي الشركة والذي انعكس بنيل المحل شهادة مستوى القمة في الأداء ، وبالزيادة في الارباح. ونحن فخورون بكم ، وآملين التواصل..."

جون فانهاوزن - الرئيس التنفيذي لمؤسسة آيس التعاونية.

• **الشهادة الثانية للرئيس التنفيذي:** بعد أن أصبح المتجر (آيس – ج ج) رسميًا في مجموعة النخبة:

إلى : كريم

م/ تقديم التهاني

"... لقد تمكَّن متجركم (آيس ج ج) من تسلق جبل النجاح والوصول للمرة الثالثة إلى قمة الأداء – [illegible]" فلقد أصبحتم رسميًا بهذا الإنجاز المميز العضو في مجموعة الخبراء النخبة لرجال الأعمال في تجارة التجزئة اللذين أوصلوا متاجرهم إلى قمة الأداء لثلاث سنوات على التوالي. أودُّ شخصيًا أن أهنئكم وفريق العمل في متجركم وأقدم جزيل شكري والتقدير لهذا الإنجاز الرائع. إن تحقيق الهدف العظيم كنيل مستوى القمة في الأداء لثلاث سنوات متتالية، لا يحصل عن ضربة حظ، إنه نتاج اقتدار القائد الكفء في تحقيق أربعة أمور (١) وضع قائمة بالغايات الصحيحة التي تقود إلى الهدف (٢) تنظيم العمليات الأدائية بخطة عمل وخارطة طريق واضحة (٣) قيادة الأعمال (٤) التدريب المستمر لكسب المهارات اللازمة للعاملين..."

• **الشهادة الثالثة من السناتور لولاية كاليفورنيا السيدة جانيت نكوين** "٢٠١٦ : منح شهادة المتجر الأفضل في المحافظة اورنج جنوب ولاية كاليفورنيا – [illegible] =

الخطوة اللاحقة : المُضي إلى الأمام

سيتضمن الجزء الثاني من الكتاب تأسيس المشروع الاستراتيجي الشامل لانبثاق الاقتصاد المعرفي ودور مُدن العلوم والتكنولوجيا والأعمال في البلد بتعظيم الاقتصاد الوطني وتحويل المجتمع الى مجتمع قادر على تبني المشاريع المعرفية... وكذلك تأسيس "مدن العلوم والتكنولوجيا والأعمال" ، وكذلك تأسيس أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم الأساسية – العلوم ، والتكنولوجيا ، والهندسة والرياضيات – ؛ ٣ ﷺ (الأحرف الأولى لعناوين العلوم الأساسية باللغة الإنجليزية). ويعتبر المرحلة التكميلية والمغذية للمشروع التنموي (المجمع) الذي يضمن تلبية العمالة المؤهلة بمتطلبات التقنيات الرقمية للمجمع وتوفيرها ، التي تمثل سمة القوى العاملة في القرن الـــ ٢١ وبما يخدم الهدف الرئيسي المساهمة بخلق المجتمع المعرفي.

إن مشروع التأسيس للأكاديمية سيكون (تسليم المفتاح – [illegible]) الذي يتم بتأمين النقل التكنولوجي الشامل لفقرات البرامج التطبيقية ، وورش التدريب الجاهزة بطرق تعليم العلوم للكوادر والقيادات التعليمية والمُطبقة عالميًا. ويتم ذلك بالتعاون بين مؤسسة / أو مؤسسات جامعية ومديريات التعليمية المحلية الحكومية والخاصة ، وبين نظيراتها العالمية المتخصصة بطرق تعلُّم وتعليم العلوم الأساسية – ؛ ٣ ﷺ ؛ ورعاية الأفكار الجديدة والابتكارات ، مع مراعاة الخصوصية لمحتويات المواضيع العلمية ومبادئ المناهج التعليمية بالبلد.

وكذلك سيتضمن الجزء الثاني الملاحظات والمصادر العلمية التي اعتمدها المؤلف ، بالإضافة إلى الشكر والتقدير للسادة والسيدات النُّقاد الذين تابعوا مراجعة النص وإغناءه بالإضافات المهمة.

الفصل الرابـع

انشاء المشروع الاستراتيجي الشامل :

" مُدن العـراق العلمية والتكنولوجية و الأعمال "

الخطوة نحو الأمـام في بنـاء المجتـمع الأهلي المعرفي

تـقديـم

إن انبثاق الاقتصاد المبني على المعرفة وبناء المجتمع المعرفي يتحقق بإنشاء المُدن العلمية والتكنولوجية المُوزَّعة على عُموم خارطة جمهورية العراق، ويتم الإشارة إليه في البحث بـــ(المشروع الاستراتيجي الشامل).

إن مُدن العلوم والتكنولوجيا من أهم المؤسسات الواجب تأسيسها وتبني مبادئ عملها، وهي الكفيلة بتحقيق الرخاء الاقتصادي للمجتمع، وجعل الدولة في الوضع المتقدم والمنافس اقتصاديًا بين بلدان العالم[1]. فمعظم دول العالم تسعى السعي الحثيث وتتنافس لتأسيس وتقوية المدن العلمية والمجمعات التكنولوجية في بلدانها.

وأمام الدولة مهام حيوية يستوجب إنجازها لتحقيق ذلك:

١) بناء العلاقات الدولية والإقليمية على مبدأ مصلحة البلد أولاً، وأمام العراق فرصة ثمينة لتحقيق ذلك بالاستفادة من الزخم الإيجابي الحاصل نتيجة الانتصار الكبير على الإرهاب العالمي.

٢) حتمية مساهمة المجتمع الأهلي بجميع قطاعاته في تنفيذ المشروع الاستراتيجي الشامل وعدم إهمالهم بل تمكينهم من تبني الأفكار الجديدة

١- الاستنتاجات المُستخلصة من المؤتمر العلمي الذي تم تنظيمه في آذار ٢٠٠٨ بالولايات المتحدة الأمريكية، العاصمة واشنطن، تحت عنوان: "جذب الانتباه وفهم وظائف المدن العلمية" بحضور جمع من أصحاب القرار من الحكومة والجامعات والقياديين للمجمعات التكنولوجية الأمريكيين وعدد من دول العالم، شملت الدول الأوربية والأسيوية. تحت رعاية وإشراف لجنة العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد الأمريكية – **STEP**، وأكاديميات – العلوم والهندسة والطب، وبمشاركة منظمة المجمعات التكنولوجية – **AURP**. المصدر رقم (١) في قائمة المصادر.

والابتكارات وبناء قدراتهم بموجب الأساليب المعاصرة بتعليم العلوم. كذلك تشجيعهم وحثهم لمواكبة حركة التطور العلمي والتكنولوجي في العالم [1].

١- الجدير بالذكر، أن المساهمة المجتمعية في أنشطة المشروع؛ لها أهمية خاصة، فقد كان من بين الأسباب التي حذت بالمؤلف لتخصيص الفصل الرابع لنشر تفاصيل المشروع الاستراتيجي؛ عدم قدرته عن إيصاله لأصحاب القرار. وما الانتفاضة الشبابية التي انطلقت في أوائل تشرين الأول ٢٠١٩ وشهدتها جميع مدن العراق لخير دليل على ذلك.

إنشاء مُدن العراق العلمية والتكنولوجية والأعمال

- الفكرة والهدف:

تتضمن الفكرة بناء مشروع استراتيجي طويل الأمد وشامل مؤلف من عدة مُدن علمية وتكنولوجية مُوزَّعة على عموم جمهورية العراق. وتتبني فكرة التأسيس "النظام الشمولي- [□ ٦□][, , /] ٦]، أحد أنظمة الأعمال التكنولوجية المعاصرة، ويتلخص النظام بوضع الأُطر والبنية والنُظم الكفيلة بمساهمة جميع القطاعات المجتمعية والأسواق والمؤسسات الفاعلة في الدولة في بناء وتطوير المشروع الشامل (مُدن العراق العلمية)، والاستفادة من الامكانيات والطاقات الإبداعية لدى المجتمع وفي الدولة لبناء الاقتصاد المبني على المعرفة، كأحد أهم روافد تعظيم الاقتصاد الوطني للدول في عصرنا الرقمي المعاصر.

وتتلخص فكرة (المشروع الاستراتيجي الشامل) بوضع أُطر العمل والنظم الكفيلة لخلق البيئة الجيوسياسية الآمنة وبيئة العمل المهنية المعاصرة، وتسخير الامكانيات وتفعيل الطاقات الإبداعية الكامنة لدى جميع القطاعات المجتمعية الأهلية، ولدى المؤسسات الفاعلة في الأسواق وفي الدولة، وتطوير نتاجاتها المعرفية في ابتكار المنتجات الجديدة والتطبيقات التكنولوجية الخدمية، وتسويقها إلى الأسواق المحلية والإقليمية والعالمية.

إن أهم ما يميِّز جوهر الفكرة، هو توفير المستلزمات المادية والموضوعية والبيئة الجيوسياسية في مشروع (المُدن العلمية). حيث يتم تقسيم المشروع الشامل (مُدن العراق العلمية والتكنولوجية) إلى مشاريع فرعية مستقلة، ولكل

مشروع فرعي (مدينة علمية منفردة) له غاياته وأهدافه. وتترابط جميع الغايات والأهداف الفرعية فيما بينها وتكمل بعضها البعض، لتقدِّم الإطار الرائع للصور الكبيرة عن كيفية تفاعل القوى الاقتصادية الثلاث: الدولة، والأسواق، والمجتمع في بناء النواة للمجتمع المعرفي[١]، وانبثاق الاقتصاد المبني على المعرفة وتعظيم مجمل الاقتصاد الوطني. المؤدي، بدوره، إلى تحقيق الهدف الرئيسي للمشروع الشامل، المتمثل بالازدهار والرخاء الاقتصادي للمجتمع، وجعل الدولة في الوضع المتقدم والمنافِس اقتصاديًا بين بلدان العالم.

كما وأن المشاريع الفرعية تؤسِّس بإطارها وأنظمة عملها المعاصرة لتشكِّل، بمجموعها، جوهر القدرة والجدارة للمشروع الاستراتيجي الشامل "مُدن العراق للعلوم والتكنولوجيا والأعمال، ومن ضمنها أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم – ؛ ٣ ﷺ ومراكزها المعرفية".

ولأغراض تطبيق الفكرة وجعلها حقيقة شاخصة على أرض الواقع، تمَّ وضع دراسة الأساس لمشروع مدينة علمية منفردة، واختيار مدينة "بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال"، كنموذج عمل متكامل يتضمن الإطار والنظام والبنية لمشروع إنشاء المدينة العلمية. ويتم تعميم النموذج لإنشاء بقية المدن العلمية والتكنولوجية على خارطة جمهورية العراق. مع مراعاة تصميم بنية عمل المدينة العلمية حسب موقعها الجغرافي وبما يعزِّز الاستفادة من إمكاناتها المجتمعية ومواردها المحلية.

١- "المجتمع – الركن الثالث في الاقتصاد الوطني" البرفسور دى راغورام راجان، الأستاذ المتميز بجامعة شيكاغو، وكبير الخبراء الاقتصاديين السابقين في صندوق النقد الدولي، ورئيس البنك المركزي الهندي. المصدر رقم (٣) في قائمة المصادر.

وقد تضمنت (دراسة الأساس) ثلاث محاور شملت الآتي:

- المحور الأول : الصعوبات والتحديات

١,١ الواقع الأكاديمي والتكنولوجي والأعمال في العراق.

١,٢ التعريف العلمي للمشكلة والحلول المقترحة إزاءها.

١,٣ التحليل المعمق لمكونات وخصائص الواقع العراقي الراهن.

- المحور الثاني: فهم وظائف المدن العلمية والتكنولوجية والأعمال وأفضل المعايير والمقاييس المستخدمة في إنشاء المدينة العلمية:

٢,١ الإضاءة على تجارب الدول الناهضة اقتصاديًا.

٢,٢ التعريفات والمفاهيم المستخدمة في المدن العلمية والمجمعات التكنولوجية.

٢,٣ تأسيس مشروع المجمع التكنولوجي، يشار إليه (المجمع).

٢,٤ تأسيس مشروع أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم – ؛ ٣ ⁞، ويشار إليه (الأكاديمية)

- المحور الثالث : المهام التنفيذية ورسم خارطة الطريق في إنشاء المشروع الاستراتيجي الشامل.

٣,١ مرتكزات الانطلاق.

٣,٢ المهام التنفيذية.

- الفوائد / The Outcomes :

• استقطاب وجذب المؤسسات الاقتصادية والعلمية والشركات الهندسية والتكنولوجية العالمية القادرة على إنجاز مشاريع البنى التحتية والمشاريع العمرانية بالمواصفات العالمية وبالنوعية التي تنسجم ومتطلبات العصر الحديث.

• توفير الكثير من الحلول لمشاكلنا المجتمعية السائدة وتعظيم الاقتصاد الوطني وحمايته من هيمنة العولمة، جرَّاء اعتماد قوة "المجتمع" الركيزة الاقتصادية الثالثة مع الركيزتين: الاقتصاديتين، الدولة والأسواق، لغرض الاستفادة من الطاقات المجتمعية بدلاً من إهمالها بتأسيس مشروع المدينة العلمية.

• النهوض بالأداء النوعي في الجامعات والمؤسسات العلمية العراقية ونقل الأفكار من المختبرات إلى ساحات الإنتاج، وتأهيلها في تخريج الكوادر التي تلاءم عصر اقتصاد المعرفة المدعوم بتكنولوجيا المعلومات، وتنشيط دورها في تسويق المعرفة العالمية، وهذه الغاية بحد ذاتها تُشكِّل هدف استراتيجي تسعى الدول إلى تحقيقه وتعمل على تخصيص الموارد المالية الكبيرة لتحقيق هذه الغاية.

• تمكين رجال الأعمال العراقيين والمؤسسات وشركات القطاع العام والخاص العراقية من الاستفادة من نظرائهم العالمين والارتقاء بنوعية الأداء في مؤسساتهم إلى المستويات العالمية.

بالإضافة إلى أن المشروع سيحقِّق العوائد المالية المجدية للمستثمرين فيه جرَّاء تقديم الخدمات للمشاركين والقاطنين بداخله (المُستأجرين)،

والمستفيدين الآخرين من خارجه، المحلين والأجانب، كتأجير المكاتب وتقديم الخدمات الإدارية والسكرتارية والدعائية ، والإسكان والخدمات الفندقية ، وتقديم الخدمات الاستشارية والتصميمية والتدريبية واللوجستية للزبائن الآخرين من داخل وخارج العراق ، كإنجاز دراسات الجدوى للمشاريع ، وتقديم خدمات التصاميم وخدمات الإشراف على المشاريع ، وتنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية التخصصية والدورات التدريبية للمشاركين وتنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل. بالإضافة إلى العوائد المالية الأخرى الممنوحة للمؤسسات المالية المشاركة بالمشروع نتيجة اقراضها وتمويلها للمشاريع التي يتبناها مشروع (المُدن العلمية).

أُطر وأنظمة عمل المشروع الاستراتيجي الشامل في جمهورية العراق

- مكونات المشروع الاستراتيجي الشامل:

يتألف المشروع الاستراتيجي الشامل من خمسة مُدن علمية [كمقترح] موزعة على عموم جمهورية العراق، كالآتي:

- مشروع رقم (١) : بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال.
- مشروع رقم (٢) : مدينة أربيل للعلوم والتكنولوجيا والأعمال – منطقة كردستان العراق.
- مشروع رقم (٣) : مدينة نينوى للعلوم والتكنولوجيا والأعمال – المنطقة الشمالية والشمال الغربي.
- مشروع رقم (٤) : مدينة النجف الاشرف للعلوم والتكنولوجيا والأعمال – منطقة الفُرات الأوسط.
- مشروع رقم (٥) – مدينة البصرة للعلوم والتكنولوجيا والأعمال – منطقة جنوب العراق.

كما وأن مكونات مشروع المدينة العلمية المنفردة تتألف من ثلاث مشاريع ثانوية ملحقة:

١. المشروع الثانوي (أ) : المجمع التكنولوجي القادر على جذب الخبرات والمؤسسات العلمية والاستثمارية واحتوائها وتطويرها ، يشار إليه بـــ"المجمع".

٢. المشروع الثانوي (ب) : أكاديمية الابتكارات، الاقتصاد المعرفي، وتعليم العلوم ( ) – والتكنولوجيا ( ) – والهندسة ( ) – والرياضيات( ) – ( ) ومراكزها المعرفية، يُشار إليها بـــ"الأكاديمية".

٣. المشروع الملحق (ج) : حزمة التطبيقات التكنولوجية وشبكات الترابط التفاعلية ونقل المعلومات بين المدن العلمية ومراكزها المعرفية، بالإضافة إلى حاكمية المدينة العلمية وأنظمة القيادة والسيطرة والتشغيل، يشار إليها بـــ"النُظم والتطبيقات التكنولوجية".

وتجتمع جميع المشاريع الفرعية والمشاريع الثانوية في أُطر وأنظمة عمل معاصرة لتشكِّل بمجموعها جوهر القدرة والجدارة للمشروع الاستراتيجي الشامل الموسوم "مدن العراق للعلوم والتكنولوجيا والأعمال"، الذي يشار إليه بـــ"مُدن العراق العلمية، أو المُدن العلمية".

سيتم تناول دراسة الإطار والنظام والبنية بالتفصيل لمشروع مدينة علمية منفردة كنموذج عمل متكامل، يتم تعميمه لإنشاء بقية المُدن العلمية والتكنولوجية في العراق. وستكون المدينة النموذج "بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال".

مشروع مدينة "بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال"

- التمهيد :

من الضروري في البداية التمهيد لبعض الأمور المهمة المتعلقة بعنوان وبعض المضامين التي ستتضمنها الدراسة الأساسية لمشروع (المُدن العلمية).

- أولاً : أن العنوان يتناول المشروع الاستراتيجي الشامل (المُدن العلمية)، المؤلف من عدة مشاريع فرعية مترابطة ومتفاعلة ومكمِّلة بعضها البعض ولا يمكن تجزئتها، بل العمل على تبنيها وتطويرها أُفقيًا وعموديًا بالتوازي، وعادةً ما يتّمُ التعامل بمثلِ هذا النوع من المشاريع الاستراتيجية على مستوى قيادات الدول. ولذلك نعتقد بأن هذه الحقيقة سوف تثير اهتمام القارئ الكريم لمعرفة المزيد عن المؤلف وما يمتلكه من تأهيل واقتدار مهني وإنجازات.

- ثانيًا : لقد أوردتُ بالمحتوى بعض المضامين والمفاهيم، كتقديم النصيحة أو التحذير، حين مخاطبتي القادة وأصحاب القرار في المواقع السياسية والتشريعية والعلمية والمجتمعية، الذين أسميتهم بمحتوى الدراسة "المهتمون"، وبالأخص الذين اختاروا العمل بالمجال التشريعي في البلد ورشَّحوا أنفسهم لخدمته من مواقع يسعون إليها في مجلس البرلمان أو المجالس المحلية، فلربما تفُهم من البعض تلك المضامين بالتجاوز، ولهذا تحتم كتابة التمهيد.

أودُّ أن أؤكد للسادة الذوات الأفاضل، أن الدراسة التي أمام أنظار حضراتكم، محاولة صادقة ومخلصة من ذات المؤلف بدافع الوطنية الصادقة أراد من خلالها أن يضع أفكاره وما يعتقد ومؤمن بأهمية تبنيها الآن وليس غدًا. فقد

قمتُ، خلال ما يقارب الثمان سنوات، بجمع التفاصيل المهنية لمشروع (المُدن العلمية)، ولا سيما أنني كنت قبل ذلك، بحوالي ٢٥ عام أعمل في الأنشطة العلمية والهندسية والصناعية، متدرجًا من مهندس مجاز إلى مساعد باحث متدرب، وباحث في مراكز بحوث محلية وعالمية، ورئيس باحثين ومدير عام في مؤسسة تطويرية متخصصة بالبحوث والتطوير الصناعي، ومساهم أساسي في إنجاز عدة مشاريع تنموية استراتيجية في العراق.

وإن كتابي الموسوم "خطوة نحو الأمام"، المؤلف حديثًا، وفي جزءه الأول "مذكرات باحث علمي عراقي بالشؤون التكنولوجية" يقف كوثيقة تاريخية شاهده تجيب على الحيثيات والتفاصيل التي انبثقت منها دراسة الأساسية (للمدن العلمية). حيث يتضمن الجزء الدروس المُستنبطة والمشاريع والتجارب العملية ببناء اتفاقيات التعاون والشراكات مع الأفراد والمؤسسات المحلية والعالمية في مجال إقامة وتطوير مشاريع الأعمار والأعمال والتكنولوجيا.

فبعد كل هذا المشوار في الأداء المهني الغني بالتجارب والإيجادات، لربما يصبح تناول المؤلف للمشروع الشامل بهذا الحجم (المُدن العلمية) ممكنًا من الناحية التأهيلية، وأن كلمات النصح والتحذير الواردة في المحتوى إلى القادة وأصحاب القرار في المواقع السياسية والتشريعية والعلمية والمجتمعية "المهتمون" يعد مشروعًا، ولأجل هذا الغرض فقد أوردت التمهيد، والله السميع العليم وراء القصد.

المقدمة

وأنا بصدد البدء في دراسة الأساس لإنشاء مشروع (المُدن العلمية)، وجدتُ أن التجربة الهندية تجربة رائده جديرة بالاحترام، وقد اطلعتُ عليها عام ٢٠٠٩ ضمن محاولاتي في البحث على التجارب الناجحة في المجمعات التكنولوجية العالمية[١]. وأصبحت التجربة الهندية تُصنَّف ضمن المُجمعات التكنولوجية المتطورة. وما جعل هذه التجربة جديرة بالذكر في هذا المقام، هو التشابه الكبير بين واقع الهند قبل نهضتها والواقع العراقي الآن، والذي يحاول الأخيار من أبنائه انتشاله منه. حيث لوحظ ومنذ عقود أن الأحزاب الهندية وتكتلاتها السياسية والدينية والطائفية والاثنية جعلت من قُبة البرلمان المكان الذي تسوده الصراعات والتناحر والتسقيط بدلاً من تشريع القوانين التي تساعد وتعجِّل في تلبية الحاجات المُلحَّة للأُمة الهندية، مما انعكس بظلاله سلبًا على الأداء الحكومي : الفساد والفوضى وعدم التخطيط السليم في المجالات التي تلبي احتياجات المواطنين. بالرغم من كل ذلك فإن الاقتصاد الهندي شهد نموًا متصاعدًا بمعدلاته.

وقد تحقَّق هذا النمو بسبب أمرين:

الأمر الأول : الإصرار والأداء المتميز للقطاع الخاص الهندي، من رجال الأعمال والعلماء والأكاديميين والأطباء والمهندسين (النُّخب)، المتحمسين

١- شهدت الهند خلال الـ١٥ سنة الأخيرة تطورًا اقتصاديًا بفضل نشاط القطاع الخاص واستقلالية القضاء، وسجلت المرتبة الثانية في العالم كأسرع نمو اقتصادي تشهده الهند، وتأتي بعد الصين مرتبة..." فريد زكريا المفكر والكاتب في الشؤون الدولية بمجلة العلاقات الدولية، والمحرر في مجلة نيوزويك – في كتابه ص١٣٤ The Post of American World. المصدر رقم (٤) في قائمة المصادر.

لبناء مقاطعاتهم ومُدنهم بمساعدة شركائهم من الخبراء ورجال الأعمال الأوربيين والأمريكيين، والذي أدَّى بالنتيجة إلى عزوف الناخبين الهنود في القرى والمدن المحلية عن السياسيين التقليديين وتوجههم نحو رجال الأعمال لاعتقادهم بأنهم الأوفى لهم بتلبية احتياجاتهم. وأصبح السياسيون حينها في حرج شديد مما اضطرهم (أي السياسيين) إلى الانصياع والتوجه نحو المفكرين والأكاديميين ورجال الأعمال في القطاع الخاص لكسبهم وتبني برامج عملهم. وهكذا تحوَّلت الصراعات الهندية السائدة في ذات قبة البرلمان من طائفية اثنية تقليدية إلى تنافس لتلبية حاجات مواطنيهم، وأصبح التسابق هو السائد في وضع البرامج الانتخابية لأحزابهم نحو تقديم الأفضل للأمة الهندية.

والأمر الثاني : في التجربة الهندية الرائدة، كان استقلال القضاء الهندي ووقوفه مع القطاع الخاص بحزم ساعد بجعل النتائج الايجابية مستدامة ورائعة.

إن الاستفادة من التجربة الهندية بإعمار البنى الفكرية والعلمية والصناعية لتطوير البلد، تحتِّم على المهتمين من الأكاديميين والباحثين والمهندسين الاستشاريين ورجال الأعمال، الذين اختاروا التصدي لهذه المهمة الجليلة كمشرِّعين على مستوى البرلمان أو المجالس المحلية، تحتِّم عليهم جميعًا، السعي الجاد والفعَّال لمعرفة المصادر التي تمتلك القدرات والإمكانات الكفيلة بتحقيق هذا النهوض المنشود. أمَّا إن كان المتصدي لهذه المهمة من غير الكوادر التي ذكرت أعلاه وتدفعه غيرته على بلده للعمل على النهوض بإمكاناته الفعليه فعليه أن يستعين بمثل تلك الكوادر لتلافي الأخطاء واختصار الوقت.

وعلى الحكومة رفد المؤسسات التي تتصدى لهذه المهمة بالاستشاريين المؤهلين ودراسات الجدوى للمشاريع، ووضع الخطط لتنفيذها.

كما أن في تجارب الدول الناهضة اقتصاديًا، التي نجحت بتقديم نموذج ناجح في الرخاء الاقتصادي لمواطنيها، الكثير من الخبرات الجاهزة التي تشكِّل عونًا كبيرًا للنُّخب التي تتصدى لتطوير بلدانها، لذا يتحتم على هذه النُّخب دراسة تلك التجارب دراسية نقدية معمقة وبعقول منفتحة والاستفادة مما يجدونه منسجمًا مع تطلعاتهم.

إن الشروع بالانطلاق في المشاريع العلمية والتنموية أسوةً بالدول التي سبقتنا لتحقيق هذا النهوض، يتطلب من النُّخب التي تبنت هذا النهج أيضًا، العمل الجاد لاستصدار التشريعات التي تؤسِّس للانطلاق بتلك المشاريع، وعلى المشرِّعين والنُّخب السياسية في البلد عدم زج هذه المشاريع في المصالح الحزبية والتكلم بدون احتراز بنقد ولوم الآخرين متناسين أنفسهم! مما قد يؤدي بدوره إلى خلق حالة من اليأس ومزيد من الفوضى والتأخر والانحدار للمجتمع.

وفي هذا السياق أهيب بإخواني وزملائي من الباحثين والأكاديميين، البحث والتحري عن المشاكل والمعوقات التي تعيق التقدم المنشود للبلد، وإجراء البحوث التطبيقية عليها والتركيز على إيجاد الحلول اللازمة لتجاوزها، وعدم الاكتفاء بتشخيص المشاكل والإسهاب بشرحها. وهذا هو ما حرصت عليه وبشدة من خلال ما قدَّمته من أنشطة.

المحور الأول

التحديات والمعوقات التي تواجه عملية النهوض الفكري والعلمي والاقتصادي للعراق

بعد استعراض حركة التطور العلمي والتكنولوجي الجارية في العالم يتحتم علينا معرفة الواقع الأكاديمي والتكنولوجي لغرض معرفة حجم المشكلة وبمقياس هندسي واقعي ومن ثم وضع الحلول الموضوعية المناسبة.

١,١ الواقع الأكاديمي والتكنولوجي والأعمال في العراق

- الصعوبات والتحديات:

يمكن تلخيص واقع الأنشطة الأكاديمية والتكنولوجية، بالآتي:

أ. الواقع الأكاديمي:

• من الملاحظ وجود قاعدة واسعة للنشاط الأكاديمي المُفتقر للبعد النوعي، وقاعدة صناعية وتكنولوجية ضعيفة ومُدمَرة، ولم يُلاحظ وجود أي تعاون بين النشاطين، ولا حتى استعداد لمثل هذا التعاون، ولا توجد أنشطة تكنولوجية حقيقية لدى القطاعين العام والخاص؛ وإن وُجِد مثل هذا النشاط فمحدود جدًا! ويكون بيد الشركات الأجنبية الاستثمارية، التي تسخِّرهُ لخدمة مشاريعها المُتعاقد عليها في العراق (كالشركات النفطية الاستثمارية...)

• وهنالك تشجيع من قِبل أصحاب القرار على صرف المبالغ، ولكن لا يوجد تشجيع لوضع الغايات والأولويات اللازمة لصرفها وبما يحقق تلبية الحاجات المُلِّحة للمواطنين (الأمثلة كثيرة وواضحة).

• وبالمقابل ، توجد مبادرات مهمة من قِبل الدولة ، متمثلة بمبادرة الحكومة في إرسال أعداد كبيرة من طلبة الدراسات العُليا لإجراء بحوثهم التطبيقية في الجامعات العالمية الرصينة ، وقيام الجامعات العراقية بالانفتاح على تلك الجامعات وعقد اتفاقيات التوأمة فيما بينها. ولكن معظم تلك المبادرات كانت ارتجالية مرتبطة بأصحاب القرار وليس بمؤسسة القرار ، ولذلك تضمحل وتتحول إلى سراب وهدر للمال العام.

ب – واقع أنشطة الأعمال في الأسواق العراقية:

رغم الصورة الإيجابية للقدرات الاقتصادية التي تمتلكها الأسواق العراقية ، والحاجات المُلِّحة والكبيرة التي تحتاجها والتي جعلت منه مركزًا لجذب كبريات الشركات العالمية للعمل والاستثمار فيه ، حيث تعتبر الأسواق العراقية من أهم الأسواق المتوسطة الحجم وللعقدين القادمين [١]. إلا أن المعوقات والتحديات لا زالت قائمة وكبيرة ، فواقع المواصلات والطرق والاتصالات يشكِّل تحديًّا للحركة العمرانية وتنفيذ البرامج التنموية ، وعدم تمكين المؤسسات العلمية والهندسية والاقتصادية في البلد باستيعاب متطلبات حركة التطور العالمية وتلبية الخدمات المُلِّحة للمواطنين. وبقاء هذه المؤسسات المحلية قاصرة في القيام بأداء الدور الذي يفترض أن تقوم به. بالإضافة إلى تردد وعدم جدية الكثير من المؤسسات والشركات النوعية العالمية وبالأخص الأمريكية [المقصود بالشركات النوعية : هي التي تمتلك وتتبنى التقنيات والتكنولوجيات المعاصرة الحديثة حيث يهدف المشروع الذي نحن بصدده إلى استقطابها]. فقد قامت الشركات النوعية العلمية بتأجيل

١– التقرير الصادر من منظمة التجارة العالمية ، وتقرير وزارة التجارة الامريكية. المصدر رقم (٥) في قائمة المصادر.

خطط مشاركتها والاستثمار في الأعمال العمرانية الجارية في العراق، رغم حجم الأعمال الكبيرة والجدوى الاقتصادية العالية التي تتمتع بها. وذلك بسبب عدم وضوح الإجراءات القانونية لتسجيل الشركات الأجنبية ومنحها الإجازات الخاصة بممارسة أعمالها ، أو الغموض في السياقات وعدم الشفافية عند الدخول في المنافسة للأعمال الجديدة. بالإضافة إلى الإجراءات المُعقدة التي تصاحب استصدار سمات الدخول لمنتسبيها وتأمين إسكانهم ، وصعوبة التنقل داخل العراق والبحث على الأعمال الجديدة لغرض إنجاز دراسات السوق وتنظيم العروض الخاصة بالمشاركة في المنافسات. تجدر الإشارة هنا إلى أن العراق قد تمَّ وضعه بالتسلسل ١٥٣ من مجموع ١٨٣ دولة مُدرجة في قائمة مقياس حجم الصعوبات والمعوقات التي تعرقل دخول الشركات الأجنبية وإنجاز أعمالها في أسواق تلك الدول[١].

بعد الاستعراض الموجز آنف الذكر ، ومقارنته بحجم التطور الكبير والمتسارع الذي تشهده دول العالم يتحتم على الذوات (المهتمين) الإجابة على التساؤلات التي تطرح نفسها بحدَّة: أين نحن (في العراق) من التطور الهائل الذي يشهده العالم؟ وهل الواقع العراقي الراهن يسمح لنا باللِحاق في الركب العالمي؟ وأين المشكلة؟ وهل يمكن أن نضع تعريف مهني رصين (مبني على حقائق) للمشكلة – [illegible] إزاء الحلول العملية المُجرَّبة وليست التنظيرية للخروج من الواقع الراهن.

١- تقرير صادر من البنك الدولي، حزيران ٢٠١٠. مصدر رقم (٥) في قائمة المصادر

١,٢ التعريف المهني [الهندسي] للمشكلة :

أعود إلى أصل السؤال وفروعه ، تقييم الواقع العراقي الراهن ، ومعرفة العوامل المؤثرة إيجابًا أو سلبًا على تقيم الواقع ، وما هو التعريف العلمي للمشكلة؟

إن تعريف المشكلة ، وباختصار شديد ، تكمن بالتدخل الخارجي والجهل المجتمعي ، والأهم الحاكمية الضعيفة غير القادر على القيادة والسيطرة والإدارة في حماية البلد والمحافظة على عوامل القوة والفُرص المجدية التي يمتلكها. يُضاف إلى ذلك الفوضى والإعلام المفبرك من قبل صناعة دولية متخصصة معروفة أغراضها.

ولكن بالمقابل ، فإن حقيقة الواقع الراهن للعراق كبلد وكمجتمع ، بالرغم مما يُقال ، يمتلك الكثير من عوامل القوة والثراء والفرص المجدية للأعمال ، وأن هذه حقيقة وليست مفهوم افتراضي ، وكما سوف يتم ذكره وإثباته لاحقًا. وأن العراق لا يزال البلد الغنى والقادر على توفير مستلزمات النهوض الاقتصادي والرخاء والازدهار المجتمعي. والأهم من ذلك فإن معظم عوامل القوة والغنى والثراء هبة من الله سبحانه الذي منَّ بها وحباها لأرض الرافدين ، فلا أحد يمكنه منعها أو نكرانها.

ويقابل هذه الحقيقة التي يتميز بها ثراء العراق ، عوامل الضعف المشار إليها آنفًا ، والتحديات المجتمعية الموروثة والمكتسبة ، من الداخل ومن الخارج ، التي تُعتبر ذات قيمة ضئيلة جدًا بالمقدار وبالتجذُّر ، لأنها من صنع الإنسان إزاء ذلك العطاء والثراء العظيم هبة الله سبحانه.

لعلَّ البعض بتحليلي لعناصر المشكلة التي تصنع واقع العراق الراهن كبلد أو كمجتمع، ينعتني بالمتفائل أو بالسطحية والسذاجة. لكن أعتقد أني أختلف عن ذلك البعض في نظرتي للأشياء، وخصوصًا عندما تكون الأشياء مشخصة وملموسة. وكما تشير قصة المعلِّم الذي سأل طُلابه في الصف وهو يرفع بيده قدحًا فيه مقدار من الماء وطلب منهم وصف ما يشاهدون، فانقسم طلبة الصف إلى قسمين في نظرتهم إلى القدح والماء، فقسم من الطلبة كانت نظرتهم: "القدح ممتلئ بالماء إلى أكثر من نصفه"، والقسم الثاني كانت نظرتهم: "القدح فارغ من الماء إلى أقل من نصفه"... وتحليلي لعناصر المشكلة التي تصنع واقع العراق الراهن يقع مع نظرة طلبة القسم الأول.

لقد كنت بهذه الرؤية الواقعية أنظر إلى ما يتمتع بها العراق من الثراء والغِنى والفُرص المجدية المستندة على حقائق ملموسة ومشخّصة. فقد كنتُ أتحدث بهذه الرؤية حين أجتمع وأتناقش بشؤون إقامة المشروع الاستراتيجي موضوع البحث، مع المعنيين المتخصصين وأصحاب القرار في عالم الأعمال والتكنولوجيا، وكما كنت قد تحدثت بها مع نظرائهم في ماليزيا – كوالالمبور. فقد كانت حينها إضافاتهم مدهشة، وكانت صادرة منهم عن دراية ومعرفة بالجدوى الكبيرة للاستثمار في العراق، ومن خلالهم حصلتُ على جُملة من الوثائق والحقائق التي تُعزِّز الحقيقة بأن العراق في أعين المؤسسات الاستثمارية يعتبر البلد الاقوى والأهم والأجدر بالمشاركة والاستثمار في أسواقه في المنطقة.

ومما تقدَّم، فإن جوهر الحل للنهوض بتطوير البلد ونمو اقتصاد المعرفة يتم بالمباشرة – الآن وليس غدًا – بإقامة المدن العلمية والمجمعات التكنولوجية، وبتبني مبدأ إنشاء المهابط الآمنة ([illegible]) وإبرام

الشراكة الاستراتيجية بين الأطراف المشاركة في عمليات التمويل والتنفيذ وفي الحاكمية والقيادة والسيطرة وإدارة العمليات الجارية. وإن الأطراف المشاركة: المؤسسات الحكومية ذات العلاقة، الشركات العالمية، الجامعات، مراكز البحث والتطوير والمؤسسات المالية المحلية والعالمية، والمؤسسات المجتمعية والخدمية المحلية ذات العلاقة. وتمثِّل حكومة البلد طرفاً بين الأطراف المشاركة في حاكمية (المجمع) وليست المُهيمنة على مجريات الأنشطة ونُظم القيادة والسيطرة والإدارة فيها. وبالوقت نفسه يتم وضع السياسات والأحكام والتشريعات للحاكمية المنتخبة وبما ينسجم ولا يتعارض مع نصوص البنود الدستورية والقوانين السيادية للبلد.

١,٣ التحليل المعمق لمكونات وخصائص الواقع العراقي الراهن – إثبات مصداقية الحلول المقترحة:

إن المقصود بخصائص الواقع تشخيص العوامل الرئيسية والفرعية التي تؤسِّس لذلك الواقع وتؤثر عليه. واستنادًا إلى وجهة النظر الهندسية التطبيقية يمكن حصرها بأربعة عوامل:

(أ) القوة ([illegible]).

(ب) الضعف ([illegible]).

(ج) الفرص المجدية ([illegible]).

(د) التحديات ([illegible]).

ويطلق عليها بعالم الأعمال [سوات – [illegible]] الأحرف الأولى لأسماء العناصر باللغة الإنكليزية.

وتجدر الإشارة، بأن هنالك العديد من البحوث التحليلية المعمقة للواقع الراهن من وجهة النظر المجتمعية، والنفسية والفلسفية التي أغناها الكثير من الذوات المفكرين والأكاديميين والتربويين الاختصاصيين، وأن كثيرًا من معطيات تلك التحليلات سيتم الاستفادة منها والإشارة إليها.

ولحساب وتقييم عوامل "سوات" الآنفة يتوجب تشخيص مجموعة العناصر التي تدخل في مكوناتها : وكما بالآتي:

أ- عامل القوة (Strength) :

ويتألف من :

• توفر مصادر الثروات الطبيعية : حجم المخزون النفطي والغاز والمعادن الأخرى، وحجم المخزون من المياه الجوفية[1]... إلخ.

• الثروة البشرية : محسوبة بحجم القدرات المعرفية المنبثقة منها، وتُقاس بنسبة الشباب المتعلمين والمؤهلين من المهندسين والأطباء والأكاديميين والاقتصاديين وغيرهم إلى مجمل عدد نفوس العراق.

• الموقع الاستراتيجي : الموقع الجغرافي للعراق بين الدول محسوب بتوفر إمكانية الترابط بين عقد المواصلات العالمية، والموقع التاريخي والحضاري محسوب بتوفر المواقع الأثرية والمزارات الدينية للأديان والمعتقدات عامة؛ السماوية والوثنية، وانعكاساتها على مقدار حجم السياحة وتنوعاتها.

١- ويقابل كل عنصر من عناصر القوة المدرجة أعلاه عناصر ضعف سيجري اعتمادها حين استعراض مكوّن عامل الضعف.

• العنصر الأخير المنطوي تحت عامل القوة في الواقع العراقي الراهن، التركيبة المجتمعية القبلية والبدوية والحضرية، والتنوع الفسيفسائي العقائدي والقومي للمجتمع العراقي : وعامل القوة لهذا العنصر المهم محسوب بتوفر الحاكمية والقيادة والانضباطية والسيطرة، نتيجة الولاء العالي من قبل العامة إلى الرموز المجتمعية[1]، وما يثبت بأن التركيبة الاجتماعية المتنوعة تُحسب عامل قوة وليس العكس، من خلال أن جميع ما حدث من أزمات وصراعات إن كانت إثنية أو طائفية فجميعها مُسيَّسة ومصادر معظمها التدخلات الخارجية، وبعض الولاءات المأجورة والمدعومة من عناصر فاعلة خارجية وداخلية.

إن تقييم مجمل عامل القوة الذي يمتلكه الواقع العراقي الراهن، يتم من خلال الجمع بين مركّبتين والناتج يساوى المحصلة لعامل القوة التي يتميز بها الواقع العراقي الراهن. وكما في الآتي:

– المُركَّب الأول : البنى الصلبة (ق ٦) يشمل مجموعة عناصر القوة المادية الحقيقية الملموسة ، كعنصر خزين النفط والغاز والمعادن بباطن الأرض والمنشآت ووسائل الاستخراج والاستكشاف على سطح الأرض... إلخ.

– المُركِّب الثاني : البنى الذكية واللينة ()، كأعداد العلماء والأكاديميين والمهندسين والشباب المؤهلين ، والموقع الجغرافي والتاريخي ، وحجم السوق الاستهلاكي والسياحية بأنواعها المختلفة... إلخ.

١– رئيس القبيلة ، والرموز الدينية ، والنُّخب المجتمعية الأُخرى.

إن الاستنتاج الواقعي، وليس الافتراضي، على ما تقدم ذكره، أن المُركّبين – البنى الصلبة والبنى الذكية أعلاه – يؤسسان إلى القيمة الكبيرة للحجم النوعي والكمّي لجوهر القدرة والجدارة التي يمتلكها العراق ومجتمعه في واقعه الراهن. ومن وجهة نظر عالم الاعمال، فإن البلد الذي يمتلك مثل هذا الحجم الكبير والتنوع النوعي للبنى الصلبة والبنى الذكية الواردة أعلاه، ومقارنته بالدول المجاورة يجعله الأفضل والأقوى والأكثر جذبًا للاستثمار بين نظرائه في البلدان المجاورة.

ب- عامل الضعف (Weakness) في الواقع العراقي :

هنالك عدد من العناصر الذاتية المتأصلة كالجهل والفقر والحرمان والنُظم التعليمية المتخلفة، وعدم توفر القيادات الكفؤة والنزيهة، وغياب الشفافية في النُظم الإدارية، وأخرى غيرها، سمِّها ما شئت. بالإضافة إلى عدد من عناصر الضعف الموروثة والتدخلات الخارجية الوافدة للداخل. والتي جميعها أدَّت إلى وضع العراق في التسلسل ١٥٣ من مجموع ١٨٣ دولة مُدرجة في قائمة مقياس البيئة الصالحة لإنجاز الأعمال بأسواق الدول (المقياس المعتمد من مؤسسة التمويل الدولية والبنك الدولي، الذي يعتمد على مجموعة من المعايير، تتعلق بالانسيابية أو المعوقات في إنجاز الأعمال التي تعرقل دخول الشركات الأجنبية وإنجاز أعمالها في أسواق الدول). التقرير الصادر من المؤسسة الدولية، حزيران ٢٠١٠).

ج – عامل توفر الفرص المجدية – Opportunities إزاء الواقع العراقي الراهن:

إن عناصر هذا العامل الحيوي تؤكِّد بأن العراق هو الأجدر والأقوى بين دول المنطقة من حيث حجم السوق الاستهلاكية مقارنة بين أقرانه من الدول المجاورة. ولكن أصبح توفر الفرص المجدية بالسوق العراقية يعمل سلبًا ؛ أي طاردًا ومعرقلاً ، بدلاً من أن يكون جاذبًا للشركات العالمية والاستثمار بالأسواق العراقية. وذلك بسبب أطماع دول الجوار وتدخلاتهم في شؤون البلد الداخلية ، وأسباب أخرى داخلية. فأصبح بدلاً من الاستفادة من توفر الفرص المجدية للنهوض بالواقع الراهن أدت تلك التداعيات إلى العكس ، حيث التردي والانحدار بالبنى والنظم المجتمعية وبتزايد طردي مع تزايد حجم وحدة التدخلات الخارجية في الشأن العراقي.

د – عامل التحديات (Threats) :

التنافس غير الأخلاقي والتدخل الوقح في إدامة حالة الفوضى من قِبل الدول العالمية ودول الجوار للاستفادة من الأسواق العراقية ؛ تشكِّل أهم مكونات هذا العامل ، ويعزِّز تلك التدخلات : الضعف والجهل المجتمعي وغياب السلطة المركزية القوية وولاءات بعض قادة الأحزاب لدول ومسميات معروفة. وبالمقابل ، وعلى سبيل المثال ، نلاحظ أن محيط العراق من دول الجوار وخلال أعوام تعاظم الفوضى العارمة في ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ وتردي الأوضاع الداخلية إلى أدني حال ، كان الجميع آنذاك من الدول المحيطة بالعراق تشهد النهوض والرخاء الاقتصادي المتسارع. وقد ذكر الكاتب والمفكر المعروف "فريد زكريا" في صحيفة الواشنطن بوست ، وصاحب

البرنامج التلفزيوني [illegible] ٥ على قناة " "ا الأوسع انتشارًا بين رجال السياسة والاقتصاد والأعمال ، ذكر في كتابه الذي حقَّق المبيعات الافضل [illegible]، في الصفحة ٨ ما نصه (... كان جميع ما لدينا من تنبؤات للخبراء الاقتصاديين المعتمدين حول تردي الاقتصاد العالمي في تلك السنوات كان خاطئًا ، وكان الصحيح هو أن خلال الاعوام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨ ، التي كانت نفس الفترة التي شهدت تصعيد بالصراعات الطائفية والقومية في العراق ، كان الاقتصاد العالمي يشهد ازدهارًا ، حيث كانت معدلات النمو الأسرع منذ أربعة عقود مضت ، بحيث شهد نمو معدل الدخل للشخص الواحد زيادة تُقدَّر بـــ٣,٢% مقارنةً بأي فترة من التاريخ. فمثلاً وبعد ما شهد العراق عام ٢٠٠٣ الحرب والفوضى العارمة وهروب حوالي مليونين ويزيد من المهاجرين العراقيين إلى دول الجوار ، كان تأثيرات الحرب والفوضى العارمة على دول الجوار طفيف ، بل على العكس كانت الدول كالأردن والمملكة العربية السعودية وتركيا وإيران ومصر ودول الخليج الأخرى تتمتع برخاء ونمو اقتصادي. وتركيا المجاورة، مثلاً، شهدت معدل نمو ٧% منذ بدأ الحرب على العراق ، والإمارات العربية المتحدة كانت تشهد أعلى وتيرة إعمار وبناء للبنى التحتية والمشاريع العملاقة كناطحات السحاب وكأنها تعيش في كوكب آخر وليس أنها تبعد عن الحرب والفوضى ساعة طيران واحدة...).

المحور الثاني

فهم الوظائف وأفضل المعايير والمقاييس العالمية المستخدمة في المدينة العلمية

٢,١ الإضاءة على تجارب الدول الناهضة اقتصاديًا:

لفهم وظائف المدينة العلمية ومعرفة أفضل المعايير ، اعتمدتُ بشكل كبير على تجارب الدول الناهضة اقتصاديًا والتي يماثل واقعها الطبوغرافي والجيوسياسي الواقع العراقي ، وما توصل إليه المشاركون بالبحوث والاستنتاجات التي تضمنها المؤتمر العالمي ، الذي تمَّ تنظيمه في آذار ٢٠٠٨ بالولايات المتحدة الأمريكية ، العاصمة واشنطن. المشار إليه آنفاً ، وكالآتي:

أ. الابتكارات ونمو اقتصاد المعرفة يعتبر من أهم العوامل التي تجعل البلد في وضع متقدم ومنافس اقتصاديًا بين بلدان العالم ، والمجمعات التكنولوجية أحد أهم المؤسسات الواجب تأسيسها وتبني مبادئ عملها للقيام بهذه المهام الحيوية ، وتشهد معظم دول العالم السعي الحثيث والتنافس لتأسيس وتقوية المجمعات التكنولوجية في بلدانها.

ب. الإسناد الحكومي المباشر بتوفير جميع المستلزمات المادية والموضوعية اللازمة لتأمين البيئة المهنية المناسبة لموقع المجمع الجغرافي ، وكذلك المشاركة مع دول عالمية متقدمة ومقتدرة يعتبر من العوامل الحاسمة في إنجاح عمل المجمعات. وعلى الدول التي تروم تأسيس المجمعات

التكنولوجية أن تقوم بوضع القوانين الحاكمة والأنظمة داخل المجمع المنسجمة مع سياسة أسواق التجارة الحرة لغرض ضمان الاستفادة من المنظمات العالمية في ضخ الاستثمارات من المجمعات وإليها. وحسبما ورد من توصيات واستنتاجات المؤتمر المشار إليه في أعلاه.

ولكننا نعتقد ، بالإضافة إلى ما ورد في استنتاجات مؤتمر واشنطن، المنوَّه عنها أعلاه ؛ فإن اعتماد قوة "المجتمع" الركيزة الاقتصادية الثالثة مع الركزتين: الدولة والأسواق ، وتفعيلها للاستفادة من الطاقات الإبداعية للمجتمع، بدلاً من إهمالها يعتبر العامل المهم الآخر ولربما الحاسم أيضًا. إن اعتماد قوة المجتمع أسوةً مع القوتين : الدولة والأسواق سيوفِّر الكثير من الحلول لمشاكلنا المجتمعية السائدة ، وحماية الدولة والاقتصاد الوطني من هيمنة العولمة ، ومن تنامي الشعور القومي والمذهبي والإثني بين أفراد المجتمع والذي يمكن إرجاع جميعها إلى تضاؤل الدور المجتمعي في بناء الاقتصاد الوطني. (وليس كما أوصى به المجتمعون في المؤتمر المذكور أعلاه)... بالإضافة إلى وضع السياقات والمعايير الدقيقة في اختيار المؤسسين العالمين والمحلين للمجمع التكنولوجي، ولا يصح اعتبار غاية تلك المجمعات مؤسسات لتشغيل العاطلين عن العمل، بل اعتبارها الجهة المؤهلة لاستقطاب الاختصاصات التكنولوجية الرفيعة وبالأخص من الدول المتطورة التي تتواجد لديها كفاءات مهاجرة يعملون في مواقع تكنولوجية عالمية متقدمة (والعراق على رأس القائمة لتلك الدول التي تمتلك عددًا مهمًا من الكفاءات المهاجرة المقتدرة والراغبة في المساهمة في هذا النشاط).

ج. ألا يتم النظر إلى المجمع في أي حال من الأحوال كبديل عن الجامعات أو المؤسسات العلمية والتكنولوجية العاملة في الدولة، بل على العكس هو

المُكمِّل لها ، ونجاح عمل المجمع يعتمد على رصانة وقوة الجامعات والمؤسسات العلمية في الدولة ، والتي تعتبر جميعها المكونات الاساسية لجوهر القدرة والجدارة للمجمع ([illegible]). ولذلك لا يمكن النظر إلى الاستثمارات كعامل لتوفير الموارد المالية لبناء المشيدات والبنايات والمرافق الفارهة للمجمع فقط ، رغم أهمية هذا العامل ، بل أن تخصيص جزء مهم من الاستثمارات للمساهمة برفد المؤسسات التكنولوجية العاملة في الدولة وتأسيس مؤسسات أخرى جديدة تعتبر بنفس الدرجة من الأهمية ، كتأسيس المشروع الوارد في مقترحنا "أكاديمية الابتكارات وتعليم العلوم ([illegible]) – والتكنولوجيا ([illegible]) – والهندسة ([illegible]) – والرياضيات ([illegible]) ([illegible]) القادرة على توفير الأفكار الجديدة والعمالة المؤهلة لخدمة المجمع التكنولوجي". وتنشيط الأكاديميات الموجودة في البلد كبحوث النفط والغاز ، والأمن والدفاع ، والموارد المائية والزراعة ، ومختبرات الطاقة ، ومحطات الفحص والقياس الحديثة ، بالإضافة إلى المساهمة في إنشاء المدارس النموذجية لراعية النابغين في الدولة من المراحل الابتدائية وصولاً إلى المساهمة في استقطاب العلماء والاختصاصين في المهجر.

د. إيجاد الشريك العالمي الاستراتيجي المؤهل الذي يمتلك القدرات النوعية والقادر على تطبيق مبدأ الشراكة الناجحة بين "الحكومة – والصناعة – والجامعة".

كانت الشراكة بين وزارة العلوم والتكنولوجيا الصينية وجامعة ميريلاند الأمريكية في إقامة المجمع التكنولوجي من النماذج الناجحة للشراكة ، فقد كان هدف وزير العلوم والتكنولوجيا الصيني ، خلال زيارة رسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية قام بها عام ٢٠٠٢ ، إيجاد الشريك العالمي

الاستراتيجي المؤهل الذي يمتلك القدرات النوعية المميزة والقادر على تطبيق مبدأ الشراكة الناجحة بين "الحكومة – والصناعة – والجامعة" ، وكانت الغاية نقل اعتماد الصين من نموذج الاقتصاد الصناعي التقليدي إلى اقتصاد المعرفة المعاصرة ، فكانت النتائج مثمرة للغاية في اختيار جامعة مريلاند الأمريكية ، الرائدة في العلوم والتكنولوجية ولقاء رئيس الجامعة ، وتهيئة الاتفاقيات التي تضمنت المفاهيم الثابتة والراسخة التي تخدم مصالح الطرفين. وكان التأكيد على كليات الهندسة والإدارة والمحاسبة والأعمال كأولوية أولى ، والعلوم المعمقة كمرحلة لاحقة. وقد شاركت في المجمع الصيني الأمريكي ١٠ شركات صينية بالإضافة إلى عدد من مراكز البحوث ومؤسسات خدمية من ولاية مريلاند الأمريكية ، وقد تمَّ بموجب اتفاقية الشراكة إرسال آلاف المتدربين الصينيين لفترات متفاوتة (شهرين إلى سنتين) ولمستويات مختلفة شملت مواضيع خدمية متنوعة ، كتنظيم عقود الأعمال والمناقصات ، وسياقات العمل ، وتعميق الفهم بالنُّظم الديمقراطية ، وتنظيم الأولمبياد... وكان انعكاسات هذه الخطوة على تطوير الأداء والنهوض بالمجمعات التكنولوجية الصينية كبير للغاية ، فعلى سبيل المثال: تحفيز وتشجيع الحكومة الصينية برفد مجمع – " سيزو هو [illegible] " بالمشاركة بمبلغ ١,٤ بليون دولار مع حزمة من التسهيلات والإعفاءات الضريبية لبناء المراكز البحثية والمختبرات الوطنية ، وأصبح فيما بعد المركز العالمي لاستقطاب العقول والكفاءات المهاجرة الصينية ورجال الأعمال العالميين ، وأصبح المجمع مركزًا لإبرام الاتحادات والائتلافات العالمية للاختراعات والتطوير التكنولوجي. " فعلى سبيل المثال: اختراع ([illegible]) كان يمثِّل أحد نتاجات هذه الائتلافات ، حيث كان التصميم يُنجز في أمريكا ، والتكنولوجيا في الهند ، والصناعة والتطوير في الصين".

وأمَّا عن دور المجمعات التكنولوجية في النهوض باقتصاد الدولة، فقد قمتُ باستخلاص وانتقاء الحقائق الموثقة بما ورد في وثائق المؤتمر من المعطيات والتجارب الناجحة لبعض الدول الآسيوية، وكالآتي:

١) سنغافورا : النموذج الناجح لدور الدولة بتبني اقتصاد المعرفة:

لقد كان قرار الحكومة متابعة التجارب العالمية واستخلاص الدروس وتطويعها وبما يوافق خصوصيات مجتمعهم، وتشكَّلت أعلى وأهم لجنة دائمية برئاسة رئيس الوزراء السنغافوري "مجلس البحوث والابتكارات والأعمال [illegible]" والتركيز على البحوث التطبيقية، ووضع برنامج لتدريس العلوم والرياضيات المعاصرة [illegible] في جميع المراحل الدراسية.... ويعدُّ المجمع التكنولوجي بايوبولس [illegible]. من بين أهم المراكز العالمية للبحوث الطبية والتكنولوجية في آسيا، حيث تمَّ تأسيسه كمدينة علمية داخل مدينة تتوفر فيها المستلزمات والاحتياجات التي يحتاجها العلماء والتكنولوجيون والباحثون ورجال الأعمال المستثمرون وعوائلهم. وقد تمَّ في إعداد تصاميمه احتواء جميع التفاصيل الدقيقة بما يجعله المدينة الفارهة والمؤهلة لقاطنيها من العلماء والاختصاصيين لغرض ضمان استقطابهم. وتضم المجمعات السنغافورية حوالي ٣٥٠٠ عالم وباحث وتكنولوجي مشهود لهم بالكفاءة من حوالي ٥٠ دولة، وتضم أعرق الشركات والمؤسسات البحثية والتكنولوجية العالمية المتخصصة. ففي عام ٢٠٠٧ أصبحت سنغافورا الدولة رقم ٢ بعد الولايات المتحدة الأمريكية بامتلاكها المقدرة التنافسية وامتلاك مستلزمات التطور، والأولى في قائمة الدول

العالمية في مقياس سهولة إنجاز الأعمال (العراق يحتل الرقم ١٦٤ ، والمؤمل أن يتحسن موقع العراق بعد دحر الإرهاب).

٢) تايوان : النموذج لأداء المجمع التكنولوجي الناجح:

التقدم والازدهار المتسارع الذي شهدته تايون مكَّنها من احتلالها المرتبة المتقدمة في الاقتصاد العالمي ، وأحد أهم أسبابه هو النتائج والفوائد المستحصلة من مجمعها التكنولوجي "هسن جيو [illegible] ٦" الذي تأسس عام ١٩٨٠ وفي ٢٠٠٤ يعمل في المجمع ١٠٠٠٠٠ شخص وتشارك ٢٢ جامعة و ٣٨٥ شركة محلية وعالمية مع ٦ مختبرات وطنية، ومجمل العوائد المالية من المجمع بلغت ٣٢ بليون دولار ، وبعد عام ٢٠٠٤ تمَّ إنشاء مجمعين تكنولوجيين في وسط وجنوب البلاد ، ليصبح مجمل العائدات للدولة حوالي ٦٦ بليون دولار.

٣) الهند : النموذج الناجح بدور القطاع الخاص:

لقد كان دور القطاع الخاص كبيرًا في جعل أولويات البرلمان الهندي ذات التوجهات المذهبية والاثنية ، والحكومة ذات التوجهات الاشتراكية ، بالتوجه إلى مبادئ عمل المجمعات التكنولوجية [الشراكة بين الحكومة – الجامعة – الصناعة] ووضع المعايير الدقيقة في اختيار المؤسسين العالميين والمحليين للمجمع ، واعتبار غاية المجمعات تشغيل المؤهلين وليس مؤسسات لتشغيل العاطلين عن العمل. وكان البرفسور آنانث – [illegible]][" أحد الرواد المؤسسين للمجمعات التكنولوجية في الهند ، وكانت الحكومة قبل عام ١٩٩٠ تقف ضد اي مبادرة بإنشاء المجمعات التكنولوجية ولم تشجع مبدأ الشراكة بين "الحكومة – الجامعة – الصناعة" ، وكان الاقتصاد بعيدًا عن اقتصاد

السوق وكان تركيز الحكومة آنذاك منصبًا على إنشاء أكاديميات ومؤسسات علمية وتكنولوجية ونجحت في انشاء سبع مؤسسات رصينة متخصصة في العلوم والتكنولوجيا ، وبعد عام ١٩٩٠ ابتدأت الحكومة مرحلة تحرير الأسواق والانفتاح والبدء بإمكانية تبني إقامة المجمعات التكنولوجية للنهوض بالاقتصاد الهندي. وكان ذلك نتيجة الدور الريادي للقطاع الخاص والتشريعات البرلمانية المشار إليها آنفًا. وقد ازدهرت المجمعات التكنولوجية التي تمَّ إنشاؤها بفضل وجود المؤسسات العلمية والتكنولوجية والجامعات التي عادةً ما تكون قريبة من تلك المجمعات ، وأصبحت الهند ، وكما هو واضح، تمثل أعلى الاقتصاديات الناهضة في العالم، والمجمعات التكنولوجيا لها الفضل الكبير بذلك.

وللتأكيد على أهمية قوة المجتمع وتفعيل طاقاته الإبداعية الكامنة، هو وضع المعيار الدقيق باختيار الأشخاص المؤهلين للعمل في المجمع التكنولوجي كأحد العوامل الحاسمة في التوظيف داخل المجمع ، فخلال زيارة عضو الكونغرس السناتور بينغامان للهند لتقييم المجمعات التكنولوجية ، أعلمه الرئيس التنفيذي لأحد المجمعات الهندية المتخصصة في البرمجيات باستلام مليون ومائتين ألف طلب عمل ، تم إجراء امتحان موحد لترشيح ٣٠٠ ألف منهم واختبار آخر ومقابلات للمرشحين لكي يتم في نهاية المطاف توظيف ١٠٠٠٠ مرشح في شركات المجمعات المتخصصة في البرمجيات.

٢,٢ التعاريف والمفاهيم المستخدمة في المدن العلمية والمجمعات التكنولوجية:

ما أهمية المجمعات البحثية والتكنولوجية والأعمال؟

يُنظر إلى جميع المجمعات بأنها الآلية الفعالة لتعزيز الشراكات "الابتكارات – والصناعة – والأعمال"، فقد وردت في مصادر عديدة تعاريف متباينة لمجمع البحوث والتكنولوجيا والأعمال والذي يُعبَّر عنه مجازًا بـــ(الحدائق التكنولوجيا والأعمال)، وأهم تعريف شامل له يتلخص: بأنه عبارة عن كيان تجتمع فيه الأنظمة والبرامج وخطط العمل والحاكمية والإدارة ، لجميع العمليات الجارية فيه. وتُشيَّد بداخله المباني والمشيدات الخدمية والمرافق ، والمستلزمات والوسائل المهنية اللازمة، مجتمعة جميعها في مجمع جغرافي موحد ، مهمته خلق وتكوين البيئة العلمية والتنموية المتكاملة القادرة لاستيعاب والمؤهلة بتطوير الأنشطة الأكاديمية والتكنولوجية والتجارية للمساهمين فيها ، والجديرة برفع قدراتهم التنافسية لتنفيذ المشاريع بالمواصفات العالمية ، ولتحقيق الهدف المنشود النهوض بالنمو الاقتصادي والازدهار للمجتمع.

أ. أنواع المجمعات التكنولوجية :

هنالك ثلاثة أنواع، وكما موضحة بالشكل رقم (٢):

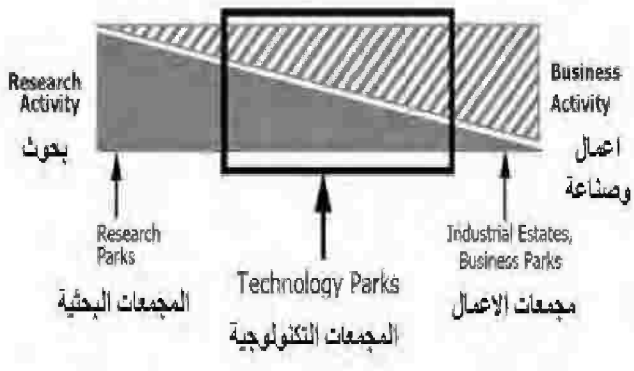

١) المجمعات البحثية: تجتمع فيها مؤسسات العلوم الصرفة ومختبرات البحوث، ولا يوجد فيها أنشطة تجارية أو صناعية، باستثناء الورش الحرفية وتكون قريبة ومرتبطة بالجامعات.

٢) مجمعات الأعمال- [illegible] : تجتمع فيها المؤسسات الصناعية والتجارية والحرفية، ولربما تتواجد الشركات العلمية فيها وبنسب ضئيلة.

٣) المجمعات التكنولوجية (موضوع البحث): تقع في الوسط بين المجمعات البحثية ومجمعات الأعمال ، تشارك فيها المؤسسات الأكاديمية والهندسية والخدمية والصناعية والتجارية.

ب. خصائص المجمعات التكنولوجية :

يمكن تلخيصها في : تأسيس البيئة التي تجتمع في داخلها مختلف عناصر المعرفة ووسائل التطبيقات ، وأهمها :

١) امتلاك الجدارة لجذب الشركات العالمية للانضمام والمساهمة في أنشطة المجمع، بسبب توفر إمكانية الاستفادة من قنوات التعاون البينية للمشاركين داخل المجمع، حيث أن الشركات عادةً ما تبحث عن البيئة التي تمكِّنها من تطوير أعمالها ومنتجاتها بجدوى اقتصادية عالية.

٢) تعتبر إدارة أعمال المجمع التكنولوجي أكثر صعوبة وتعقيد من المجمع البحثي أو مجمع الأعمال، حيث يترتب على إدارة المجمع التكنولوجي أن تكون قادرة على التعامل مع أنواع مختلفة من المنتجات، وكذلك من أساليب العمل المختلفة المستخدمة من قبل المنتجين، وأن تقوم إدارة المجمع أيضًا بتسهيل وإغناء قنوات التعاون البينية بين المشاركين في المجمع، وتعتبر هذه المهمة، بحد ذاتها، من أهم التحديات التي تواجهها الإدارة.

٢,٣ تأسيس مشروع المجمع التكنولوجي، (المجمع):

أ. المبادئ :

المبدأ الأول : تفعيل الاتفاقات والمعاهدات ومحاضر الجلسات المشتركة الدولية والتي تمَّ إقرارها سابقًا من قِبل البرلمان العراقي وبرلمانات الدول المعنية الراغبة في المشاركة بتأسيس المجمع وجعلها خط الشروع كون تلك الاتفاقيات قد اكتسبت الغطاء التشريعي.

المبدأ الثاني : المساهمة الجدية من قبل الشركاء، والحكوميين منهم بشكل خاص، برفد وإغناء البنى التحتية والبنيوية للمشروع وكما في الآتي:

ب. دور الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية والإقليم والشركاء الحكوميين:

تأسيس المؤسسة العلمية المتخصصة في البحوث العلمية التطبيقية والتكنولوجية والأعمال ، يرأس مجلس المؤسسة رئيس مجلس الوزراء ، ويكون موقعها بالدولة مماثلاً لموقع القيادة العامة للقوات المسلحة ، والاسم المقترح "الوكالة الاتحادية للعلوم والتكنولوجيا والأعمال".

والغاية الرئيسية للوكالة الاتحادية : الإشراف والسيطرة والإسناد اللوجستي والمتابعة للبرامج العلمية والتكنولوجية والتعليمية والتربوية لجمهورية العراق من خلال مجموعة من المهام، أهمها:

١. الاهتمام والإسناد اللوجستي بالقيادات والكوادر التربوية والتعليمية والتدريسية والبحثية ، والتركيز على تشجيع المبادرات في تبني البرامج والطُرق المعاصرة بتعليم العلوم ( ) ، والتكنولوجيا ( ) ، والهندسة ( ) ، والرياضيات ( ) ، وتطوير المناهج ، وكذلك التركيز على البحوث التطبيقية.

٢. انتقاء وتجميع الجامعات والمؤسسات البحثية والهندسية والفنية ، التي تمثِّل القدرات المعرفية والمعلوماتية الخاصة بالأسواق العراقية، وبناء شبكة قنوات التعاون والعمل المشترك بينها وبين المستثمرين العالميين، يُعبَّر عنها بـــ"البنى الذكية – ".

٣. التركيز على تطوير دور القطاع العام والخاص في بناء وإرساء قواعد البنى التحتية للمشروع ، كتكليف المساهم العراقي بأعمال الهندسة المدنية والميكانيكية والكهربائية للأبنية الإدارية والفنية والسكنية والمرافق الخدمية للمشروع، يعُبر عنها بـــ"البنى الصلبة – "

٤. التركيز على إقامة قنوات الاتصال والتعاون بين إدارات المشروع والمؤسسات الحكومية العراقية، التعليمية والتدريبية والقانونية والخدمية ذات

العلاقة، في أعمال البناء والإعمار والاستثمار، نُعبِّر عنها بـــ"البنى الناعمة أو اللينة – [illegible]".

ج- دور المشاركين المؤسسين والمستثمرين في المجمع التكنولوجي:

أن يكون المحليون من المشاركين من الذين يمتلكون الاقتدار التكنولوجي، والإمكانيات المادية والمهنية التي يحتاجها المجمع التكنولوجي، والذين لهم مصالح وتأثير حقيقي في منطقة إنشاء المدينة العلمية المحلية. ويتم حساب القيم لحصص المؤسسين والمشاركين "المستثمرين" للمجمع التكنولوجي على ضوء تقييم قيم مساهماتهم، ويشار إليهم بـــ"الشركاء أصحاب المشروع – [illegible]". أمَّا المشاركون الحكوميون والمؤسسات الكبيرة من الأجانب فيكون لهم اتفاقيات تعاون استراتيجي مبرمة مع الحكومة الاتحادية للعراق. والدول المعنية: الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، وبريطانيا، وألمانيا، واليابان... وكذلك الدول الإقليمية، كالسعودية، والكويت، وإيران، وتركيا. فجميع تلك الدول لها اتفاقيات استراتيجية مُبرمة مع الحكومة العراقية.

والمقترح يمكن أن يُؤمِّن تحقيق المصالح المتبادلة بدلاً من مصلحة الطرف الواحد. وبهذا المقترح يصبح التدخل العدواني السائد مشاركةً وتعاونًا بنَّاءً متبادلاً، وينعكس إيجابيًا على تحقيق المصالح المشتركة لجميع الأطراف المتعاونة. بالإضافة إلى أن المقترح يعطي الضمانة الدولية المضافة لـــ(المدن العلمية) والذي يؤدي بدوره إلى تعزيز الأمن الداخلي والسلم العالمي بشكل عام.

٢,٤ المعايير الخاصة بإنشاء مشروع المجمع التكنولوجي:

أ- الرؤيـــا (Vision):

أن يكون "المشروع" – المركز للأعمال المستقبلية ، والمؤهل باستقطاب واستيعاب المؤسسات العلمية والتكنولوجية والشركات الهندسية المحلية والعالمية ، وأن يكون المشروع المرجع لنمو اقتصاد المعرفة. وأن يمكِّن العراقيين من تنفيذ المشاريع التنموية والبناء والإعمار بأرقى المقاييس والمواصفات العالمية التي تُلبِّي متطلبات العصر التكنولوجي المعلوماتي لعدة عقود قادمة.

ب- المهام (Mission):

وتتلخص بالآتي:

١) إنشاء مشروع المجمع التكنولوجي في بغداد؛ كخطوة أولى؛ استنادًا إلى مبدأ الشراكة في التمويل والتنفيذ والحاكمية والإدارة بين الأطراف المساهمة في التأسيس – المؤسسات الحكومية ذات العلاقة ، الشركات العالمية ، الجامعات ، مراكز البحث والتطوير والمؤسسات المالية المحلية والعالمية والمؤسسات المجتمعية والخدمية المحلية ذات العلاقة.

إن اتفاقيات الشراكة والعمل المشترك يمنح الشريك العراقي فرصة النهوض بالمستوى النوعي لأداء المؤسسات العراقية ويرتقي بها إلى المستوى العالمي وارتقاؤها إلى هذا المستوى سوف يكفل بحد ذاته التطور والنمو الاقتصادي، ويجذب الاستثمارات العالمية، ويوفِّر فُرص العمل للعاطلين، ويحقِّق الرخاء والازدهار في ربوع العراق. وبالمقابل فإن اتفاقية الشراكة تمنح الشريك الحكومي الدولي فرص الأعمال الجديدة والاستثمار المجدي.

٢) المهمة الأخرى لمشروع "المجمع" جذب واستقطاب المؤسسات العلمية والتكنولوجية والشركات الهندسية العالمية المقتدرة التي تتبني التقنيات الحديثة لإقامة المشاريع التنموية والعمرانية للعمل بالعراق.

ومهمة توجيه أنشطة المجمع وفروعه نحو جذب واستقطاب تلك المؤسسات سوف تُمكِّن من تبني المشاريع المرتبطة بأنشطة الطاقة، والطاقة المتجددة ومختبرات تطويرها ، وإقامة محطات الفحص والتقييم الحديثة للمواد والمنظومات الإلكترونية المستخدمة في المشاريع الإعمارية، وإنشاء الورش الخاصة بتقنيات الإرواء والمكننة الزراعية ، وتكنولوجيا أنظمة الأمن والحماية والاتصالات ، وجذب مكاتب الاستشاريين والمصممين والتكنولوجيين العالميين المتخصصين في الصناعات الصيدلانية والهيدروكربونية ، واستقطاب الشركات الهندسية والمقاولين العالميين المتخصصين في أعمال البناء والإعمار.

٢,٥ العناصر الحاكمة بأداء (المجمع) (Key Performance Areas):

تتألف من مجموعة من العناصر الأدائية الحاكمة المتعلقة بالعمليات العلمية والتكنولوجية الجارية في المجمع التكنولوجي ، وتدعى العناصر الحاكمة بأداء (المجمع) – [illegible] ١. وهنالك ستة عناصر حاكمة تتم بواسطتها وضع النظم وإرساء بنية المجمع، وكما في الآتي:

العنصر الأول : وضع الرؤية والمهام ([illegible]):

إن امتلاك المجمع لرؤية واضحة تمكِّنه من:

– وضع خطة استراتيجية شاملة لعمل المجمع بعيدة المدى (١٥ – ٢٠) سنة.
– تمكِّنه من تحديد المهام والإجراءات والخطط الفرعية الكفيلة بتنفيذ الخطة الاستراتيجية الشاملة وتحقيق أهدافها.

العنصر الثاني : الحاكمية والقيادة والسيطرة وإدارة العمليات يشار إليها بـــ"هيئة الأمناء":

□ [illegible] ٥ [illegible]:·

يعتبر من العناصر التأسيسية الحاكمة والحاسمة بنجاح المشروع الاستراتيجي الشامل ، وعليه تقع مسؤولية المحافظة على الرؤية وحماية المسارات التنفيذية للمشاريع في جميع مفاصل وأروقة (المجمع التكنولوجي) من الخروج عن الاتجاهات المرسومة لها في الخطة الاستراتيجية الشاملة... وكذلك يُعتبر من العناصر الضامنة لتشغيل الاستثمارات المالية للمستثمرين وحمايتها.

إن (المجمع) الذي يتبنى الرؤية طويلة الأمد (١٥–٢٠ سنة) ، يُحتِّم على القائمين عليه انتخاب أعضاء الحاكمية القادرين على القيادة والسيطرة وضمان سير المهام التنفيذية بالأُطر الكفيلة لتحقيق الأهداف المتوخاة. ولذلك يستوجب تلبية عدد من المعايير التنظيمية الأخرى، وغاياتها:

أولاً : ضمان المركزية الشديدة في وضع الخطة الاستراتيجية واللامركزية والحرية في تبني مفردات تنفيذها بالمناطق التي تغطيها الخطة.

ثانيًا : قوة وكفاءة القنوات الرابطة بين الحاكمية وبين الهيئات الاستشارية الدولية العُليا ، المُشكَّلة من قِبَل الحكومة العراقية ونظرائها المشاركين الحكوميين ، وكذلك قوة وكفاءة القنوات الرابطة بين أعضاء الحاكمية وبين

اللجان الاستشارية المُشكَّلة من الحكومة الاتحادية وحكومة الإقليم والحكومات المحلية.

ثالثًا: ومعيار ضمان متابعة استمرار فعالية إدارات المجمع وفروعه، والتي تستمدها من خلال تصميم أنظمة المتابعة ووسائل العمل المتطورة، والتي عادةً ما تساهم فيها شركات متخصصة بإدارة المجمعات التكنولوجية يتم التعاقد معها، كطرف ثالث، من خارج المجمع.

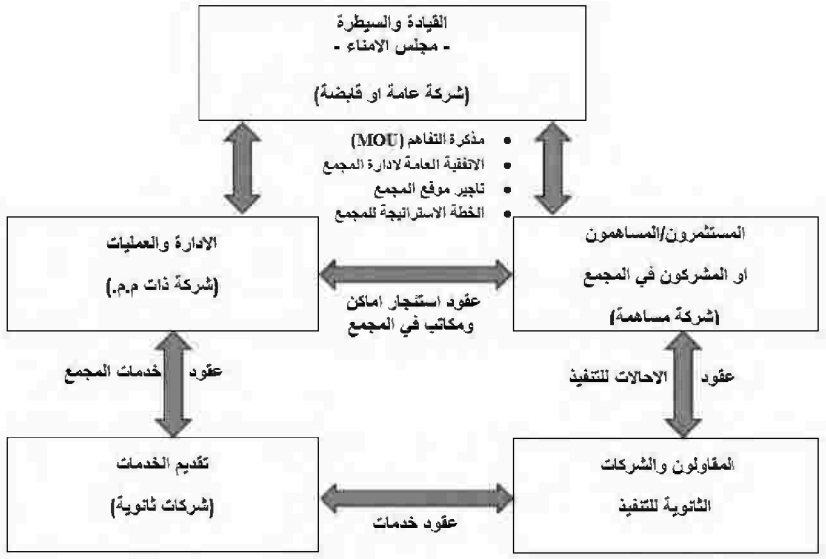

شكل رقم (٣)

مخطط أولي يوضح العلاقة بين الحاكمية والهيئات الاستشارية وإدارت المجمع.

رابعًا : والمعيار الأخير الحاسم الذي يضمن للحاكمية المقدرة في القيادة والسيطرة، ويتألف من فرعين ثانويين :

١. دقة مقياس كفاءة إنجاز العمليات الجارية في المجمع ، والتي تُستمد [تنشأ] من كفاءة شبكة القنوات التعاونية البينية التي يمتلكها المشاركون في المجمع.

٢. توفر الإمكانات المادية والمعرفية، المتمثَّلة بالمساهمات الفاعلة للجامعات ومراكز البحوث والمختبرات والورش العلمية ، والخدمات الاستشارية والصناعية والمالية، وكذلك الخدمات التي يقدِّمها القطاع الخاص : كصناعة النماذج الاولية، وخدمات البنوك، والاتصالات، والتسويق و النقل والشحن والتأمين، التي يُعبَّر عن جميعها بـــ"البنى الذكية [illegible]".

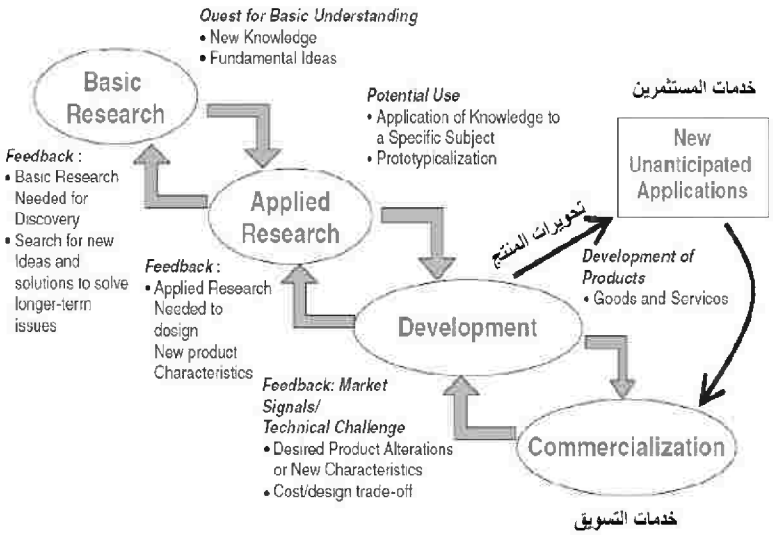

شكل رقم (٤)

شبكة القنوات التعاونية البينية للمجمع

العنصر الثالث : الموقع التسويقي (ﺍﻟﻤﻮﻗﻊ ﺍﻟﺘﺴﻮﻳﻘﻲ)

يُعتبر من العناصر الحاكمة التسويقية المهمة. وعادةً ما تتطلب من إدارة (المجمع) جهودًا تسويقية كبيرة حتى تصل إلى القدرة التسويقية المخططة – أي الموقع التسويقي (ﺍﻟﻤﻮﻗﻊ ﺍﻟﺘﺴﻮﻳﻘﻲ) المستقر بتلبية حاجة السوق. فإن تحديد القوة التسويقية لمنتجات (المجمع) تُعدُّ من العوامل الحيوية التي تضمن نجاح المجمع في تأمين الموارد المالية واستمرارية عمله. وبما أن منتجات المجمع التكنولوجي تتميز عن غيرها من المنتجات بامتلاكها المعرفة الغنية، وعلى سبيل المثال، كمنتج الهواتف النقَّالة، أو دواء مطوّر لمعالجة وباء، أو خدمة متطورة... سمّي ما شئت! ولذلك وغالبًا ما تواجه الحملات التسويقية المعوقات والمصاعب نتيجة لعدد من الأسباب، تُحتم على الإدارات التنفيذية للمجمع الانتباه لها، أهمها:

أ. عدم توفر الصورة الواضحة عن نوعية الزبائن المستهدفين، بالنظر إلى حقيقة أن منتجات المجمع تساهم في إنتاجها عدة أنواع مختلفة من الشركات المستأجِرة بالمجمع ، مما تؤدي إلى تعقيد مهمة تحديد قطاعات السوق المطلوب استهدافها.

ب. عدم توفر الوضوح لدى إدارة (المجمع) عن طبيعة المنتج الذي تقترح بيعه إلى قطاعات السوق ، وطبيعة الأنشطة والخدمات التي تقوم بها الشركات المستأجِرة التي يجب أن يقدِّمها (المجمع) إلى تلك الشركات. نظرًا لأن (المجمع) ، ومرة أخرى ، يستضيف مجموعة متنوعة من الشركات المستأجِرة التي تساهم في الإنتاج. فلذلك ساد الاعتقاد بان المهمة معقدة، ولكن لا ينبغي أبدًا أن تكون معقدة لدرجة أن تكون مستحيلة.

تجدر الإشارة إلى أن الجامعات العراقية ، مثل كليات الإدارة والاقتصاد واللغات والقانون والعلاقات الدولية (السفارات في وزارة الخارجية) لهم هذا الدور الرائد في إنجاز مهام هذا العنصر التسويقي الحيوي.

العنصر الرابع : الانتقاء المعرفي (

إن مستوى المهارات والإمكانات التي يجب أن يمتلكها الأشخاص والمؤسسات العاملة في المجمع يعتبر من المعايير الحاسمة الضامن للأداء المهني العالي لمفاصل المجمع. ويعتمد ضابطين : ١. انتقاء المستوى المعرفي والمهني الرفيع للمؤسسات المشاركة (المستثمرة أو المستأجرة)، ٢. والضابط الآخر تحديد مؤهلات الأشخاص العاملين في المؤسسة المعنية. ويتم ذلك من خلال وضع المعايير والمواصفات والقياسات التشغيلية العالمية – . وأن يتم اعتبار المجمع مركز تنافس وتسابق لغرض انتقاء المؤهلين من محليين ومن دول العالم بدلاً من اعتباره مؤسسات لتشغيل العاطلين عن العمل.

العنصر الخامس) رصانة البنى التحتية والتكميلية ، البنى الصلبة

إن الحداثة والكفاءة بانتقاء التصاميم وجودة المواصفات الفنية والقياسية الكفيلة بإنشاء المجمع الذي يحتوي على المشيدات المهنية الفخمة والمجمعات السكنية الفارهة والتسويقية والخدمية المميزة، ستشكِّل عامل الجذب المضاف لمساهمة الشركات العالمية.

العنصر السادس : المتانة المالية للمجمع ([illegible]):

إن تفعيل اتفاقيات التعاون الاستراتيجية المُبرمة مع الدول المقتدرة ماليًا في المنطقة سيُكسب الطرفين مصالح متبادلة من خلال تعزيز المتانة المالية للمجمع إزاء الجودة العالية للاستثمارات الطويلة الأمد التي يقدِّمها المجمع، والتي عادةً ما تكون عامل استقطاب للمؤسسات المالية لتلك الدول لاستثمارات وبالأخص الدول المجاورة.

٢,٦ أكاديمية الابتكارات والاقتصاد المعرفي:

تعليم العلوم ([illegible]) – والتكنولوجيا ([illegible]) – والهندسة ([illegible]) – والرياضيات ([illegible]) ومراكزها المعرفية، يشار إليها بـــ"الأكاديمية".

الأكاديمية تعتبر المصدر المهم المُغذي لجميع المواد المعرفية والتعليمية للمدينة العلمية. ومن خلال الأكاديمية يمكن تحقيق مشاركة جميع قطاعات المجتمع الأهلي وتفعيل مساهماتهم والاستفادة من الإمكانات والطاقات الإبداعية الكامنة لديهم، وجعل المجتمع القوة (الركيزة) الاقتصادية الثالثة مع الركيزتين الاقتصاديتين : الأسواق والدولة ، لتطوير المنتجات المعرفية وابتكار المنتجات الجديدة ، والتطبيقات الخدمية المعاصرة وتسويقها إلى الأسواق المحلية والإقليمية والعالمية وانبثاق الاقتصاد المبني على المعرفة. بالإضافة إلى رفد المجمع التكنولوجي في المدينة العلمية بالعمالة المؤهلة.

إن أهم وظيفة للأكاديمية هي إبقاء دور المجتمع الأهلي فاعلاً ومتوازنًا مع القوتين الاقتصاديتين : الدولة والأسواق خلال التطور التكنولوجي المتلاحق الجاري ، والذي عادةً ما يُسبب تضاؤل مشاركة المجتمع الأهلي كقوة

اقتصادية منتجة ، لعدم تمكنه من استيعاب تلك التطورات التكنولوجية والمشاركة في المشاريع التنموية في البلد[1].

أ. الابتكار واقتصاد المعرفة:

مجموعة من المفاهيم والمصطلحات أودُّ تناولها باختصار شديد وبأسلوب إجابات إزاء مجموعتين من التساؤلات، ليتسنى للقراء الكرام ولي أن ننظر إلى موضوع البحث من زاوية واحدة، محاولاً قدر المستطاع إبقاء المحتوى في الجانب الهندسي التطبيقي ، مبتعدًا عن الخوض عميقًا في الجوانب التنظيرية، الأكاديمية والفلسفية، رغم أهميتها، والتي أغناها أساتذتنا بغزارة.

١) ما المقصود بالمعرفة والابتكار ؟ وبالاقتصاد المعرفي؟ المدينة العلمية؟ المجمعات البحثية والتكنولوجية ومجمعات الأعمال (الحدائق التكنولوجية) ؟ وما أهميتها في عملية النهوض الاقتصادي للبلد وفي الرخاء وازدهار المجتمع؟

٢) كيف نقيِّم الواقع المجتمعي للبلد من وجهة النظر العلمية والهندسية التطبيقية؟ وما مقدار المدى المتاح لتطبيق تلك المفاهيم إزاء الواقع العراقي الراهن؟

ب. ما المقصود بالمعرفة؟

اكتشاف حقيقة مشخصة بوجودها المادي، والزمني أو بتأثيراتها. ولتقريب المقصود وبعض المفاهيم الواردة ، نأخذ نشاط المكتشف بوستر لويس –

١– المفكر والبرفسور "رادرام راجان" في كتابه الركيزة الثالثة تحليل مفصَّل حول محاولات الركيزتين الاقتصاديتين : الأسواق والدولة ، بإهمال المجتمع الأهلي وجعله متخلفًا والاهتمام بمصالحهما.

[illegible] : ، العالم الفرنسي المتخصص بعلوم الأحياء والكيمياء ، والمشهور باكتشافاته المشخّصة بتأثيراتها المثيرة ، كالتطعيم والتخمر الميكروبي والبسترة ، التي قادت إلى اختراقاته الرائعة لمعرفة أسباب الأمراض والوقاية منها، وقد أنقذت اكتشافاته العديد من الأرواح البشرية منذ ذلك الحين.

والمقصود بالابتكار : فكرة تحويل الحقيقة بعد اكتشافها إلى منتج أو خدمة قابلة للتطبيق على أرض الواقع، يُطلق عليه الابتكار – [illegible] .

فمثلاً بعد اكتشاف المكتشف بوستر لويس لبعض الفطريات وإطلاعه على حقائق معينة تخصها ، تولَّدت لديه فكرة جديدة مبتكرة وهي عملية التطعيم ، التي أنقذت الكثير من البشر من العديد من الأمراض والأوبئة.

ج. مفهوم الاقتصاد المعرفي:

استثمار الابتكار وتسويقه إلى السوق كمنتج أو خدمة جديدة جديرة بتحقيق المردود الاقتصادي ، وتشمل مفردات اقتصاد المعرفة ، عملية تصنيع أو تحسين منتج أو حتى طريقة جديدة لتقديم خدمة اجتماعية. وهكذا كان لابتكار عمليات التطعيم المتأصلة من المعرفة للوقاية من الأمراض تمثِّل أعظم المردودات إلى الاقتصاد.

وتتطلب عملية تسويق الابتكار وجود المستثمر المغامر ([illegible] ٣) وشبكة مترابطة من المؤسسات ، مع مجموعة من القواعد والمعايير والإجراءات الوطنية ، التي تؤسِّس جميعها إلى خلق النظام البيئي أو النظم

الإيكولوجية (ﷺ ﷺ ﷺ) للابتكار [١] ، والتي تتلخص مهامه بكيفية قيام الأفراد والكيانات المؤسسية بالبحث عن المعرفة والتعاون لتطوير الابتكارات الجديدة للاستفادة منها وإدخالها كمنتجات وخدمات جديدة إلى السوق.

شكل رقم (٥)

التطور المعرفي الذي يقود نحو الابتكار
وتسخيره في مختلف الاستخدامات الحياتية

د. أهمية الاقتصاد المعرفي في عملية النهوض بالبلد وتحقيق الرخاء والازدهار المجتمعي:

تكمن أهمية الاقتصاد المعرفي بالتحصيل الحاصل من تنامي المقدرة التنافسية للبلد على اكتساب حصة من السوق من خلال إضافة منتج جديد أو تحسين منتج في السوق وجعله بقيمة أفضل في البيئة الاقتصادية المعولمة.

١- النظم الإيكولوجية : هي العناصر الحية التي تتفاعل مع بعضها البعض ومع البيئات غير الحية المحيطة بها ، وتوفّر المنافع أو الخدمات إلى العالم. خدمات النظام الإيكولوجي – تجعل حياة الإنسان ممكنة عبر توفير الأغذية المغذية والمياه.

خدمات النظام الإيكولوجي والتنوّع البيولوجي – منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة
www.fao.org › ecosystem-services-biodi

إن نمو اقتصاد المعرفة يعتمد على التعاون الناجح بين الركائز الاقتصادية الثلاث : قوة "المجتمع" الركيزة الاقتصادية الثالثة ، كالعلماء والمهندسين والتكنولوجيين وغيرهم من الفنيين ، وقوة "الأسواق" المتمثلة بقدرة رواد الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال المغامرة، الركيزة الثانية في إطار نظام إيكولوجي مبتكر معين وبإسناد مباشر من الركيزة الاقتصادية الأولى "الدول".

إن الاقتصاد العالمي آخذ في التغير ، والمعرفة بدأت تصبح جزءً أساسيًا من اقتصاديات البلدان المتطورة ، ومجالاً مشجعًا لاستقطاب رؤوس الأموال وتنميتها، ومورداً استراتيجيًا جديدًا في الحياة الاقتصادية. ورأس مال يستحق الاستثمار والنمو كمصدر للثروات ومورد استراتيجي جديد في الحياة الاقتصادية.

وتلعب التكنولوجيا دورًا مهمًا في نمو اقتصاد المعرفة. فقد أدَّت في بعض الحقول الاستخدامات المعلوماتية والطبية والبيئية إلى قفزات عظيمة في النتائج. فالمتوقع أن تؤدي استخداماتها إلى تبديل جوهري في نمط حياتنا والطريقة التي نعمل ونعيش فيها ، وبمعنى آخر حتمية الاستفادة من المجتمع الأهلي وتفعيل دوره "كركيزة اقتصادية ثالثة" في نمو الاقتصاد المعرفي جنبًا إلى جنب مع الركيزتين الاقتصادية الأسواق والدولة آنفة الذكر.

ولقد أصبح عامل التطور المعرفي الأكثر تأثيرًا في الحياة من بين العوامل الأخرى، المادية والطبيعية ، وأصبح تدفق المعرفة هو الذي يقود للابتكار ، آخذين بنظر الاعتبار أن نقل المعرفة عملية معقدة تنطوي على كثير من العوامل المحلية والعالمية ، كنقل التقنية وحماية الملكية الفكرية واستقطاب

الكفاءات. والطرق المعاصرة بتعليم العلوم ( ) والتكنولوجيا ( )، والهندسة ( )، والرياضيات ( ).

القادة والكوادر التربويون الأقدر في اختيار الطُرق المعاصرة لتعليم العلوم الأساسية والرياضيات وبما ينسجم ومتطلبات البرنامج الوطني للتربية والتعليم.

٢,٧ المراكز المعرفية:

إحدى المؤسسات الفرعية المهمة للمدينة العلمية بالمجمع التكنولوجي وتشرف هيئة الأمناء للمدينة العلمية على أعمال المركز ، اختيار المسؤول لقيادة المركز المعرفي حسب المعايير الخاصة، يُفضل أن يرشَّح من العلماء أو الأكاديميين أو من القيادات التربوية المحلية المتحمسين من منطقة عمل المدينة العلمية... ويقوم المركز المعرفي بعدة وظائف حيوية، أهمها:

أ. تقوية القدرات البحثية في الجامعات المحاذية لها وتوجيهها وتطويع نتائجها لخدمة المناطق التي حولها.

ب. تنظيم الدورات العلمية التخصصية وورش التدريب للقيادات العلمية والأكاديمية في محيط عملها، بالإضافة إلى أساليب تعليم العلوم المعاصرة

ج. بالإضافة إلى دور المراكز المعرفية في تقديم المشورة إلى الحكومات المحلية في محيط عملها وكقنوات وصل بمشروع (المجمع التكنولوجي) لتغذيته ورفده بالكوادر المؤهلة المدربة من أبناء المنطقة.

المحور الثالث

الخطوات التنفيذية؛ رسم خارطة الطريق وإنشاء مشروع " مدينة بغداد للعلوم والتكنولوجيا والأعمال " المثابة وخط الشروع

٣,١ مرتكزات الانطلاق بالتنفيذ

أربع مرتكزات حقيقية وليست افتراضية، تم استخلاصها من المحورين آنفة الذكر، تؤسِّس القاعدة للانطلاق بمشروع (مُدن العراق العلمية) على أرض الواقع، وتمهِّد لرسم الخطوات التنفيذية وتحديد خط الشروع، والمرتكزات كما يلي:

الركيزة الأولى: إن إقامة المشروع كفيل بتطوير البلد ونمو اقتصاد المعرفة، وجعل الدولة في الوضع المتقدم والمنافس اقتصاديًا بين بلدان العالم.

الركيزة الثانية : يمتلك المشروع الاستراتيجي (مُدن العراق العلمية والتكنولوجية والأعمال) الحاكميات المستقلة ، فلكل مدينة علمية محلية حاكميتها المُنتخبة من قبل المستثمرين والمؤسِّسين لها. وتمثِّل الحكومة المحلية طرفًا من بين الأطراف المشاركة في حاكمية المدينة العلمية المحلية وليست المهيمنة على مجريات الأنشطة ونُظم القيادة والسيطرة والإدارة فيها. وفي الوقت نفسه يتم وضع السياسات والأحكام والتشريعات في الحاكميات وبما ينسجم ولا يتعارض مع نصوص البنود الدستورية والقوانين السيادية للعراق. ومن أهم خصائص الحاكمية المنتخبة : المقدرة على بسط نفوذها بالقيادة والسيطرة المستدامة للمحافظة على الرؤيا الطويلة الامد ، وإدامة

وتطوير المهام لتحقيق الأهداف المنشودة للمشروع المدينة المحلية وضمان مصالح المستثمرين المؤسسين.

الركيزة الثالثة: المُدن العلمية تتمتع بالموقع الاستراتيجي والمكانة المتميزة. وهنالك عدة خصائص نوعية تميِّز (المدينة العلمية المحلية) ، أهمها : الاستقلالية والحماية والمراقبة ووسائل الأمان ، الموقع الجغرافي المرتبط بخطوط النقل البرية والنهرية والجوية ؛ والقريب إلى الجامعات ؛ وتتوفر بداخله أيضًا المقرات الحكومية ذات العلاقة بتقديم الخدمات وتسهيل عملية إقامة الشركات الأجنبية ومزاولة أعمالها المجتمعة ، يُطلق عليها بعالم الأعمال : "النافذة الواحدة" [١] ، وكذلك توفير المكاتب والمختبرات المتكاملة والخدمات وجميع المستلزمات الفنية والإدارية واللوجستية ، لغرض تسهيل أعمال الشركات الأجنبية القاطنة في (المدينة العلمية) التي ترغب بالعمل والاستثمار بالبلد. بالإضافة إلى توفير الوحدات السكنية والأماكن الترفيهية والخدمية ، كمصرف ومركز طبي ومدرسة وأسواق ، لسكن عائلات العلماء والباحثين والمهندسين والاستشاريين. وجميع تلك المرافق تتمتع بالنوعية العالية وبالفخامة لكي تكون الجديرة بخلق البيئة العلمية والتكنولوجية الجاذبة للعلماء والاختصاصين ، وأن تكون فارهة في أسلوب تصميمها لكي ترتقي بوصفها الحدائق التكنولوجية – [illegible] ، وأن تكون المؤهلة

١- النافذة الواحدة التي يجتمع بها ممثلون حكوميون عن المؤسسات الحكومية المسؤولة يتمتعون بجميع الصلاحيات اللازمة لتقديم خدمات تسجيل الشركات الأجنبية والإقامة لمنتسبيها، وتوفير العطاءات الحكومية ومصدر معلوماتٍ لكل ما يحتاجه الأشخاص والمؤسسات القاطنين في المدينة. ووجود هؤلاء الممثلين يختلف عن مشاركة الوزارات أو المؤسسات العراقية الحكومية أو القطاع الخاص الذين يعتبرون المساهمين في المدينة العلمية.

أمنيًا لكي يُطلق على منشأها الضخم "المهبط الآمن والجاذب لعمل الشركات في مناطق الصراعات ([illegible]).

والحقيقة الرابعة : المشاركة الفاعلة من قبل دول عالمية متقدمة ومقتدرة، والإسناد الحكومي المباشر، يعتبران أهم العوامل الحاسمة في إنجاح عمل (المُدن العلمية).

- **الخطوات التنفيذية:**

يتحتم على أصحاب القرار تبني خمس خطوات مهنية اختصاصية، يتم استخلاصها، لرسم خارطة الطريق المؤدية إلى خط الشروع... والخطوات كالآتي:

الخطوة الأولى : تهيئة العرض الشامل ([illegible]) ، يُشار إليه (العرض التكنولوجي):

إن قرار إقامة المشروع من قِبل الشركاء الحكوميين، يتم من خلال اللجان المشتركة المشكلة بين العراق وحكومات تلك الدول حين يتم إبرام اتفاقية التعاون الاستراتيجي، وبعد موافقة اللجان على العرض التكنولوجي المقترح لإقامة المشروع، وتتوقف هذه الموافقة بدورها على مدى حرص واضعي المقترح على مصالح الشركاء، وذلك باختيار المواقع الجغرافية بعناية وتضمين المقترح بدراسة جدوى تُظهِر بوضوح أن الفوائد والعوائد المتوخاة من المشروع تفوق الاستثمارات المخصصة له، هذا إضافة إلى المضامين التالية التي يجب أن يحتويها العرض:

• ارتباط مصالح المساهمين المستمرة بالمنطقة التي تغطيها الخطة الاستراتيجية لعمل المشروع ، وأن النهوض بها اقتصاديًا وعمرانيًا وتكنولوجيًا يعزِّز مصالحهم بقدر ما يعزِّز مصلحة العراق.

• امتلاك المساهمين إلى الرؤيا المشتركة بأهمية تلبية حاجات المواطنين الآنية والمستقبلية في تلك المنطقة، ومدى الانعكاسات الإيجابية على مصالح المشاركين المؤسسين نتيجة ذلك.

• التحديد المُسبق لمصادر القدرات المجدية التي يمكن للمجمع وفروعه الاستفادة منها في المناطق المنتخبة: كمصادر القدرات الكامنة – الملموسة، مثل مصادر الطاقة والمعادن؛ والمصادر اللينة – كالسياحة بأنواعها المختلفة والموقع المتميزة من حيث الترابط الجغرافي، وجودة البنايات والقرب من الجامعات ومؤسسات البحث والتطوير والمصادر الذكية – كتوفر الطاقة الشبابية المؤهلة والأكاديمية أو أي خدمات ممكن الاستفادة منها لأغراض المشروع.

الخطوة الثانية : تهيئة دراسة الجدوى للمشروع:

إن تهيئة دراسة الجدوى الشاملة تعتبر الخطوة الحاسمة في مجمل مهمة الشروع بإنشاء المشروع ، وتتضمن وضع التفاصيل الخاصة بالفقرات المدرجة في العرض التكنولوجي أعلاه ، وتتلخص: في وضع التعاريف والشروحات والمخططات التوضيحية وتحديد الأهداف التي يتوخاها المجمع، والبنى التحتية والتكميلية المطلوبة إزاء المُدد الزمنية اللازمة ، وكذلك الاستراتيجيات المعتمدة والتكاليف المترتبة ومصادر التمويل، بالإضافة إلى خطط التسويق وتحديد مواقع المسؤولية بين القيادة العليا وبين مجاميع إدارة العمليات في المجمع.

الخطوة الثالثة : تسمية أعضاء مجلس هيئة الأمناء:

يجب أن تراعى في هذه الخطوة المهمة عدد من المعايير عند انتخاب أو انتقاء أعضاء الحاكمية والقيادة للمجمع، من شأنها أن تؤسِّس إلى هيئة قيادية قادرة على تحقيق السيطرة والتوازنات في إسناد وإغناء جميع أنشطة المجمع وفروعه، ولاسيما أن الواجب الرئيسي للمجلس تهيئة الخطة الاستراتيجية الطويلة الأمد (٢٠ سنة) والإشراف على تنفيذها.

وتتم تسمية الأعضاء بأسلوبين:

- الأسلوب الأول : الانتقاء لاختيار الشخصية العلمية العالمية المرموقة للمواقع الشرفية في هيئة الأمناء لمدن العلوم والتكنولوجيا بأرض الرافدين، والطموح أن يكون من الذوات العلماء الحاصلين على جائزة نوبل في العلوم. ولأجل تحقيق ذلك أن يتم الاستفادة من الرصيد العالي والسمعة المميّزة التي كانت تمتلكها أرض الرافدين بما قدَّمته للبشرية من المعارف والعلوم في تاريخها الغابر، وبنفس الأسلوب استثمار الانتصار الباهر الذي حقَّقه أولاد الرافدين على الإرهاب العالمي في تاريخهم الحاضر - العراق. يقابله الاستعداد والرغبة المُتوقعة من قبل الذوات العلماء بالاستجابة للتكليف، ولي شواهد عملية ملموسة بمنطقية المقترح وجدواه.

- الأسلوب الثاني : انتقاء المؤسِّسين أصحاب الأسهم المستثمرون العالميون والمحليون المالكين للمجمع. وأن عملية الانتقاء تتم بضوء المعايير الخاصة المشار إليها في عنوان " العناصر الحاكمة لأداء (المجمع) - [illegible]"، العنصر الرابع الانتقاء المعرفي للأشخاص".

- **الخطوة الرابعة :** تهيئة الخطة الاستراتيجية للمشروع - [illegible]

إن وضع المضامين الخاصة بالخطة يتم من قِبل هيئة الأمناء وبمساهمة المجاميع الاستشارية العالمية والمحلية المرتبطة بهيئة الأمناء بالإضافة إلى تكليف المكاتب الاستشارية العالمية المعتمدة (الشكل رقم ٣ أعلاه).

وأهم المضامين للخطة الواجب تحديدها، تشمل:

• جدول تقدُم العمل ، ويشمل الأهداف والمهام والواجبات إزاء الفترات اللازمة لتحقيقها.

• التفاصيل الخاصة بالتكنولوجيات التي سوف يتم استخدامها لتحقيق تلك الأهداف.

• المبادئ والسياقات والاستراتيجيات الخاصة بالقيادة والسيطرة (الحاكمية) على جميع العمليات الجارية ، وسياسات وخطط التسويق في المجمع وفروعه.

• مهام الإدارة والسيطرة والعمليات ([illegible])

• وكذلك تحديد التخصيصات والمصادر المالية.

- **الخطوة الخامسة :** إدامة المراقبة والسيطرة وتأمين الإسناد اللوجستي لضمان إنجاز مهام المشروع وتطوير أعماله.

تجدر الإشارة ، أن تهيئة الوثائق التفصيلية لإطار عمل المشروع وآليات تطبيقه، يُشار إليها بـــ "وثائق المشروع"، عادةً تساهم في إنجازها المكاتب

الاستشارية العالمية المعتمدة، ومسؤولية اختيار هذه المكاتب والتعاقد معها تقع بشكل أساسي على عاتق الشركاء الحكوميين.

• • • •

الشكر والتقدير

لقد كان الدور الكبير لجميع الذوات الأفاضل الذين ساهموا في إبداء ملاحظاتهم أو تعليقاتهم في تعظيم عزيمتي بمواصلة إكمال كتابي (خطوة نحو الأمام) ، وإثرائه ببعض الإضافات المهمة ، فلكم مني جميعًا جزيل الشكر والتقدير...

وأورد بعضًا من تعليقاتهم:

المهندس الاستشاري نامق حازم نامق بطل أحداث الفصل الأول – قصتي مع الموسيقى الكلاسيكية، ونص لقسم مما ورد في رسالته:

"... من فضلك د. محمود المظفر ، هل تغفر لي صديقي العزيز ، للرد باللغة الإنجليزية على رسالتك المؤثرة إلى الحد الأقصى التي لم أتلقى مثيلها في وقت مضى في حياتي ؟!

أشعر بالخجل من الاعتراف بأنني لا أستطيع الكتابة باللغة العربية ، وأن الإصبعين اللذين أستخدمهما الآن لا يقدران على كتابة أي معنى للكلمة!

أثارت قصتك الإعجاب والازدهار في داخلي ، وإحساسا رائعًا بالحنين والوفاء للأيام الماضية.

شكرًا جزيلاً لكم على هذه الذكريات المحيّرة والمليئة بالذكاء! أنا انتقلت بتأثيرها لدرجة أنني أكتب وأنا أبكي!

أنا ممتن للغاية لك ولعرفانك وتقديرك. هذه في الحقيقة إشادة عظيمة لن أنساها أبدًا لبقية حياتي. في الواقع هي الوحيدة التي تلقيتها على الإطلاق من الكثيرين الذين تعرفت عليهم في جلسات الموسيقى الكلاسيكية!

يؤسفني أن أقول إنني لم أتعرف عليك من الصورة المرفقة سأبحث عن صورتك بكل تأكيد في كتاب السنة الأخيرة لكلية بغداد للهندسة. وأرفق صورة لي تبلغ من العمر ٣ سنوات في غرفتي الموسيقية كما هو معروف لعدد قليل جدًا من الأصدقاء والعائلة على مَرّ السنين.

شكرًا لك دكتور محمود المظفر من كل قلبي. وتقبل أطيب تمنياتي.) نامق

الأستاذ مهندس استشاري "هيثم سيف الدين" ، يعمل استشاريًا في شركات عالمية باختصاص منظومات التبريد المركزي، وابتدأ عمله باختصاصه منذ تخرجه من كلية الهندسة – جامعة بغداد عام ١٩٧٠...

"عزيزي محمود : لابد من أن أذكر أن لك أسلوبًا مميزًا وفريدًا وشيقًا في سرد الأحداث والتعبير عن أحاسيسك بشكل أستطيع أن أرشحك لتكون كاتبًا ناجحًا. فلم أحظ بوقت جميل مثل الدقائق التي قضيتها في قراءة قصتك الجميلة. لقد مررتُ أنا بنفس التجربة التي شرحتها بدقة أدبية فائقة عندما دعاني نامق لجلسة سماع الموسيقى. وأنا أقرأ تفاصيل قصتك حسبتني وكأنما أروي ما جرى لي في تلك السويعات التي لازالت ملتصقة في ذاكرتي... كما وشمل المحتوى نواحي عديدة منها فنية وتاريخية وعلمية وتوصيات مركزة هي عصارة الخبرة المتراكمة من سنين طويلة في مضمار العمل والترحال ، وأن أهم ما في الموضوع هو شجاعتك في الولوج إلى مشروع لا يخلو من خطورة ومجازفة عالية لا أجرؤ أنا شخصيًا حتى على التفكير فيه..."

الأستاذ دكتور مهندس بشير عبد الواحد : عمل مهندس طيران في القوة الجوية العراقية بعد تخرجه من الكلية الفنية العسكرية في القاهرة عام ١٩٦٩ وبعدها وحين تواجده في دول المهجر نال شهادة الدكتوراة من جامعة لاهاي في هولندا. وكان قد عمل في المواقع المهنية المهمة المتعلقة بفحص وإدامة المحركات النفاثة ومنظوماتها ، وتقاعد برتبة لواء مهندس وحاليًا منصرف إلى الكتابة والتأليف...

"... في قناعتي أن كتابك يرتقي إلى مستوى الكتب المهمة التي تحكي تجربة حياة لإنسان مهم وعقلية فذّة صادقة وأمينة ومتمكنة مما تكتب وَمِمَّا تقول... يا أخي أنت تسمح للآخرين أن يسافروا في مجرى وجدانك وضميرك وتجربتك في الحياة ، وهذا كرم ما بعده كرم ، فتوكل على الله ولتكن تجربتك الأولى رائدة"

الأستاذ مهندس استشاري حسن محمد كاظم : عمل مهندس طيران في القوة الجوية بعد تخرجه من الكلية الفنية العسكرية في القاهرة عام ١٩٦٩. وقد عمل في مواقع مهنية رفيعة في مجال التأهيل العلمي والتدريب المهني ، وتقاعد برتبة لواء مهندس...

" إن العناوين والمواضيع التي تناولتها واسعة ومهمة يمكن الاستفادة منها كمحاضرات أو مقالات..."

الأستاذ اللواء المتقاعد جليل القزويني، مقيم في لندن، عمل في مجال الإسناد الإداري والمالي لمشاريع الإسكان العسكري...

"... كنت أشعر ، كلما ألتقي الدكتور محمود المظفر ، بحبه ووفائه لبلده العراق ولأصدقائه ، وباندفاعه لتطبيق أحدث التطبيقات التكنولوجية لتغيير الواقع المزري الذي يعانيه العراق ، وكما كنت أستشعر قدراته الإدارية وأسلوبه المرن

في الإقناع والتعاطي مع الظروف الصعبة التي تواجهه أثناء العمل... وبعد احتلال العراق وغياب الأمن والفوضى التي سادت فقد أجبرته على الهجرة ، ومع ذلك بقي العراق في وجدانه حيّا يريد خدمته ، وها هو في كتابه الذي اسماه - خطوه نحو الأمام ، يطرح عصارة تجاربه العلمية والعملية. أتمنى كما يتمنى كل عراقي أن ترى جهوده طريقها للتطبيق..."

الأستاذ المهندس الاستشاري عبد الحافظ عاقب: استشاري في مجال تكييف، تخصص بأعمال تصميم ونصب وتشغيل وصيانة منظومات تكيف الهواء...

" الكتاب روعة وشيق وتجربة جديرة بأن يُحتذى بها ، فاستمر إلى الأمام بلا تردد، والله الموفق والمستعان به وهو من وراء القصد"...

أودُّ أن أشير إلى الشخصية المتألقة عبد الحافظ بالخصوص فبالرغم من جسامة الظروف المعقدة والخطيرة التي تعرضت لها مدينته الموصل، وما تبعها من تداعيات على ظروف المعيشة ، إلا أن طَمَعي بعلمه ودرايته التفصيلية بحيثيات التأليف، من خلال ما اكتسبه من قراءاته، بالإضافة إلى خبراته جراء تنفيذه لعدد من المشاريع الهندسية التي يغلب عليها الجانب العملي والتكنولوجي في تفاصيلها، كل ذلك جعلني أكلفه بمراجعة المحتوى، فكان عملنا المشترك يمتد لساعات طويلة، وفي بعض الأحيان يبدأ منتصف الليل بتوقيت الموصل مستثمرين توفر الإنترنت فكان عبد الحافظ يدخل معي كلمة بكلمة وجملة بجملة ويقف عند كل مقترح أو فكرة يناقش ويحقق ويقترح التعديل! وقد كان هذا الأخ المصلاوي في كل اجتماع من خلال

الفيس تايم، وحسب المثل العراق "راواني نجوم الظهر" لقد كان بحق القارئ الباهر والناقد المُبحّر النموذج. فإليك مني أخي عبد الحافظ عاقب جزيل الشكر والتقدير...

السيدة بشرى محمد داود الشكرجي : كانت تعمل مشرفة تربوية لعلوم الرياضيات... التعليق الذي أرسلته السيدة الفاضلة كان الأول الذي شجعني وحفزني على التفكير في كتابة مذكراتي وتجاربي، وقد كان ذلك حين قراءتها قصتي مع عالم الموسيقى، فكان مما جاء في تعليقها :

"... بحق يا دكتور محمود أبدعت بشدّ القارئ لمتابعة قراءة النص بلهفة... وأكثر ما شدني ، وأحييك فيه ما وجدت فيك من وطنية عالية بحبك ووفائك الواضح للعراق ، الذي يتجلى للقارئ من خلال تمسكك بالسعي لتحقيق المجد والارتقاء بالوطن وانتشاله مما وصل إليه بعد ما عانى من سلسلة الحروب والأخطاء التي وقع فيها والتي جرته للمصائب المتعاقبة. وبذلك كنت يا دكتور محمود قد نجحت في تحليل أحداث تاريخية صميمية ومهمة سيعرفها القارئ وخصوصًا الأجيال الجديدة... وكانت مشاركتك لزوجتك الأخت العزيزة الست زاهرة ، قد أعطت الصورة الحضارية لمكانة المرأة ورقي ثقافتها في المجتمع العراقي والإسلامي... والجميل أنك نجحت في توثيق أحداث القصة ووثّقتها بصور واضحة ورصينة. وإ ن طموحك العالي وثقتك الكبيرة بنفسك تجعل القارئ يتيقّن من أن الأمور وإن كانت صعبة ؛ فإنها لديك ليست بالمستحيلة"...

زوجتي الصابرة زاهرة عبد الكريم حسون عجينة :

وحين الوقوف أمام زوجتي أم مظفر يقفز أمامي حدثان كانا مفصليين في مستقبل حياتي المهنية التي لولاهما لما وصلت إلى ما أنا فيه الآن... لقد كان إصرارها على أن تحل محل الفريق التمريضي وتقوم بإجراء الكثير من الإسعافات المعقدة المطلوبة لجرحى الحروق الشديدة، التي أُصبت بها خلال التجريب النهائي لمشروع تكنولوجي مُعقد ، وقد تمكنت أم مظفر من امتلاك مهارات التطبيب اللازمة من الكادر الطبي في المستشفى والذي امتدت خدماتها لأشهر عديدة بعد خروجي من المستشفى. بالإضافة إلى الأهم، فقد قامت مقام الطبيب النفسي المعالج بتغذيتي بالمعنويات العالية ، ومنحي الإصرار على تحدي الآلام المبرحة للحروق. وأتذكر زيارة رئيسي المباشر إلى بيتي بُعَيدَ خروجي من المستشفى ليتفقد حالتي الصحية حاملاً هدية القرآن الكريم، المكتوب بأحرف من ذهب، وينقل الامتنان والعرفان لموقف أم مظفر وتقديمها الخدمات الطبية بمهنية عالية.

كما وسبق ذلك، الحدث المفصلي الثاني وكان حين نجاحي بتميز في الأداء البحثي من بين زملائي الباحثين لنيل شهادة الدكتوراة ، فكانت لكلمات أستاذي المشرف المغفور له البروفيسور بندر إلى جمع من طلبة الدراسات العليا الذين كانوا تحت إشرافه، وكان معظمهم من دول أجنبية بالإضافة إلى ثلاثة بريطانيين، كان يتكلم عن أم مظفر، واصفاً إياها بالزوجة المثالية التي كرست نفسها لمساعدة زوجها حيث كانت تشاركه العمل كجزء من الفريق البحثي.

ولا بد لي قبل أن أُنهي إقراري واعترافي إلى المساهمين في إعداد كتابي هذا، أن أخص ولدي عبد الكريم الذي بذل جُهدًا كبيرًا في تحمل جميع المهام التي كانت مناطة بي لكي أكرِّس اهتمامي كُليًا لكتابة الكتاب الذي بين أياديكم... فلك مني ولدي البار احترامي وحبي وتقديري.

المؤلف

المصادر والملاحظات

[١] الاستنتاجات المُستخلصة من المؤتمر العلمي الذي تمَّ تنظيمه في آذار ٢٠٠٨ بالولايات المتحدة الأمريكية ، العاصمة واشنطن ، تحت عنوان: "جذب الانتباه وفهم وظائف المدن العلمية" ، بحضور جمع من أصحاب القرار من الحكومة والجامعات والقياديين للمجمعات التكنولوجية الأمريكيين وعدد من دول العالم ، شملت الدول الأوربية والأسيوية. تحت رعاية وإشراف لجنة العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد الأمريكية – "[illegible]، وأكاديميات : العلوم والهندسة والطب ، وبمشاركة منظمة المجمعات التكنولوجية – "[illegible].

[illegible]

[٢] المؤسسة العالمية للاستشارات والأعمال مكنزي المعروفة.

[٣] "المجتمع – الركن الثالث في الاقتصاد الوطني" البرفسور دى راغورام راجان، الأستاذ المتميز بجامعة شيكاغو ، وكبير الخبراء الاقتصاديين السابقين في صندوق النقد الدولي ، ورئيس البنك المركزي الهندي.

[illegible]

[٤] "خلال الـ١٥ سنة الماضية شهدت الهند تطورًا اقتصاديًا بفضل نشاط القطاع الخاص واستقلالية القضاء ، وسجلت المرتبة الثانية في العالم كأسرع نمو اقتصادي تشهده الهند ، وتأتي بعد الصين مرتبة..." فريد زكاريا المفكر والكاتب في الشؤون الدولية بمجلة العلاقات الدولية ، والمحرر في مجلة نيوزويك، في كتابه ص١٣٤

[٥] تقرير منظمة التجارة العالمية ، وتقرير وزارة التجارة الأمريكية]

[٦]

[٧]

[٨]

[٩] ذكر الكاتب والمفكر المعروف "فريد زكريا" في صحيفة الواشنطن بوست ، وصاحب البرنامج التلفزيوني "٥ على قناة " "ا الأوسع انتشارًا بين رجال السياسة والاقتصاد والأعمال ، ذكر في كتابه الذي حقَّق المبيعات الافضل [illegible]]" ، في الصفحة ٨ ما نصه (... كان جميع ما لدينا من تنبؤات للخبراء الاقتصاديين المعتمدين حول تردي الاقتصاد العالمي في تلك السنوات كان خاطئًا ، وكان الصحيح هو أن خلال الاعوام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨ ، التي كانت نفس الفترة التي شهدت تصعيد بالصراعات الطائفية والقومية في العراق ، كان الاقتصاد العالمي يشهد ازدهارًا ، حيث كانت معدلات النمو الأسرع منذ أربعة عقود مضت ، بحيث شهد نمو معدل الدخل للشخص الواحد زيادة تُقدَّر بـــ٣,٢% مقارنةً بأي فترة من التاريخ. فمثلاً وبعد ما شهد العراق عام ٢٠٠٣ الحرب والفوضى العارمة وهروب حوالي مليونين ويزيد من المهاجرين العراقيين إلى دول الجوار ، كان تأثيرات الحرب والفوضى العارمة على دول الجوار طفيف ، بل على العكس كانت الدول كالأردن والمملكة العربية السعودية وتركيا وإيران ومصر ودول الخليج الأخرى تتمتع برخاء ونمو اقتصادي. وتركيا المجاورة ، مثلاً ، شهدت معدل نمو ٧% منذ بدأ الحرب على العراق ، والإمارات العربية المتحدة كانت تشهد أعلى وتيرة إعمار وبناء للبنى التحتية والمشاريع العملاقة كناطحات السحاب وكأنها تعيش في كوكب آخر وليس أنها تبعد عن الحرب والفوضى ساعة طيران واحدة...).

[١٠] [illegible]

[١١] دور التعليم العالي ومسؤولية الجامعات العراقية في رفد اقتصاد المعرفة – [illegible] / . الدكتور محمد الربيعي ، أستاذ برفيسور في جامعة دبلن.

Tel :(+2) 01288890065
www. shams-group. net